وسطيـة الإســلام

وَسَطِيَّةُ الْإِسْلَامِ

الكتاب الحائز على جائزة الألوكة

تأليف

راجي غفران المساوي

أبو عبد الرحمن محمود بن عبد الخالق السعداوي

عامله الله بلطفه الخفي

وسطية الإسـلام

الكتاب الحائز على جائزة الألوكة

اسم الكاتب: محمود السعداوي
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية للنشروالتوزيع
تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
رقم الإيداع: ١٤٩٨٠ / ٢٠١٨
الطبعة / الأولـى

طبعت بمطبعة الشروق

حقوق التوزيع

Facebook.com/arabiclibrary2017

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى كل مسلم غيور

إلى كل داعية صبور

إلى كل عالم شكور

نهدي هذا الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾

(البقرة /١٤٣)

مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنَّه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله.

(*يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ*) (آل عمران / ١٠٢).

﴿*يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا* وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءا وَاتَّقُواْ اللّهَ *الَّذِي* تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (النساء /١).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب /٧٠-٧١).

أما بعد،، وضع الله هذه الشريعة حنيفية سمحة سهلة حفظ فيها على الخلق قلوبهم وحببها لهم بذلك فلو عملوا على خلاف السماح والسهولة لدخل عليهم فيما كلفوا به ما لاتخلص من أعمالهم ألا ترى إلي قوله تعالى (وَاعْلَمُوا *أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ* لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) (الحجرات /٧).

فقد أخبرت الآية أن الله حبب إلينا الإيمان بتيسيره وتسهيله، وزينه في قلوبنا بذلك، وبالوعد الصادق بالجزاء عليه [١]

قال تعالى (*وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً*) (البقرة /١٤٣).

---

(١) الموافقات في أصول الأحكام (٢/٩١-٩٢) أبو إسحاق الشاطبي

والوسط هاهنا الخيار والأجود كما يقال " قريش أوسط العرب نسباً وداراً أي خيرها، وكان رسول الله ﷺ وسطاً في قومه، أي أشرفهم نسباً، ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات وهي " العصر " كما ثبت في الصحاح وغيرها ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج، وأوضح المذاهب [1] كما قال تعالى (*هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ* الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ) (الحج /٧٨).

ورحم الله الحسن البصري إذ يقول:. " شرعُ الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه"، فهذا ما يدعوا له هذا البحث " الوسطيَّة..... القصد في الدين..... الاعتدال "

وهذا ما يصد عنه هذا البحث الغلو في الدين..التشديد على النفس..التطرف، فاتقوا الله في دينكم يا أمة الإسلام، واحذروا الغلو في الدين والتنطع فيه والتشدد.

الله....الله في الإسلام أيها الدعاة.

الله....الله في الإسلام أيها المسلمون.

وقد جاء هذا الكتاب في مقدمة وأربعة أبواب، وخاتمة كالآتي:

الباب الأول: بين يدي القارئ وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول: معني الوسطيَّة.

الفصل الثاني: طريقة المشرع في التشريع.

الفصل الثالث: مجيء التكاليف في حدود الإستطاعة.

الباب الثاني: مظاهر الوسطيَّة وفيه أربعة فصول

الفصل الأول: الوسطيَّة في العقائد.

الفصل الثاني: الوسطيَّة في العبادات.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٨١-١٨٢) ابن كثير القرشي ط: بيروت

تفسير الآلوسي (٢ /١٩٣) ط: دار الغد العربي ـ القاهرة

الفصل الثالث: الوسطيَّة في إقامة وتطبيق الحدود الشرعية.

الفصل الرابع: الوسطيَّة في المعاملات.

الباب الثالث: الوسطيَّة في مكارم الأخلاق وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول: إنحراف أهل الكتاب عن منهج الوسطيَّة.

الفصل الثاني: الوسطيَّة في أدب الدنيا والدين.

الفصل الثالث: نقد نظرية الوسطية في الأخلاق مع المقارنة بالمنهج الأرسطي.

الباب الرابع: شبهات وردود

وفيه شبهات عن المنهج الوسطي في الإسلام

وسميته (وسطيَّة الإسلام)

ثمَّ خاتمة تحوي خلاصة الكتاب وقائمة بمصادره ومراجعه.

وفي نهاية المطاف، إليك أيها القارئ الكريم هذا الكتاب، فما كان فيه من صواب فمن الواحد الديَّان، وما كان فيه من خطأ فمنِّي ومن الشيطان، وأسأل الله أن يغفر لي، فإليك أيها القارئ الحبيب بضاعتي المزجاة " *فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ* أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ " (البقرة /٢٢٩).

" إِنْ *أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ* " (هود/ ٨٨).

كتبه:

راجي غفران ربه

أبو عبد الرحمن محمود بن عبد الخالق السعداوي

شبراخيت في يوم الجمعة المبارك ١٢/جمادى الآخرة

١٤٢٢ هجرية الموافق ٣١ أغسطس ٢٠٠١ ميلادية

الباب الأول
بين يدي القارئ

الفصل الأول / معنى الوسطية

المبحث الأول

١- معني الوسطيَّة في اللغة العربية [١]

الواو والسين والطاء: بناء . في اللغة . صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه وشيء وسط: بين الجيد والرديء ووسط الشيء ما بين طرفيه،

قال الشاعر:

إذا رحلت فاجعلوني وسطاً إني كبير لا أطيق العندا

أي اجعلوني وسطاً لكم ترفقون بي وتحفظونني، فإني أخاف إذا كنت وحدي أن تفرط دابتي أو ناقتي فتصرعني.

والوسط والأوسط: المعتدل من كل شيء والعدل والخير

---

(١) أنظر:" مقاييس اللغة ": (١٠٨/٦) أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي.

و" الصحاح ":(١١٦٧/٣) الجوهري.

و" لسان العرب ": (٤٢٦/٧-٤٣٠) لابن منظور الإفريقي.

و" بصائر ذوى التمييز":(٢٠٩/٥) مجد الدين مُحَّد بن يعقوب الفيروز آبادي.

و" المعجم الوسيط ":(١٠٣٠/٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

و" المعجم الوجيز ": مادة وسط(ص/٦٦٨) مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

و" الفروق اللغوية ": (ص/٢٥٣) أبو مُحَّد بن بري.

و" مختار الصحاح ":(ص/٧٢٠) مادة " وسط " مُحَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي و" مجلة البيان " مقال بعنوان " وسطية الإسلام والأمة المسلمة " العدد(١٦٧) د. عثمان جمعة ضميرية.

والوسط: ما يكتنفه أطرافه ولو من غير تساو، يوصف به المفرد وغيره.

وفلان وسيط في قومه: إذا كان أوسطهم نسباً وأرفعهم محلاً

قال العرجي[1]

كأني لم أكن فيهم وسيطاً ولم تك نسبتي في آل عمرو

وقال أبو مُحَمَّد بن بري: إنَّ الوسط ـ بالتحريك ـ اسم لما بين طرفي شيء، وهو منه، كقولك: قبضت وسط الحبل وكسرت وسط الرمح وجاء الوسط محركاً أوسطه على وزن يقتضيه في المعنى وهو الطرف، لأنَّ نقيض الشيء يتنزل منزلة نظيره في كثير من الأوزان نحو: جوعان، وشبعان، وطويل، وقصير.

والوسط قد يأتي صفة، و إن كان أصله أن يكون اسماً، من جهة أن أوسط الشيء: أفضله وخياره ومنه " خيار الأمور أوسطها " [2] فلما كان وسط الشيء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة وذلك في مثل قوله تعالى " *وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً* " (البقرة /١٤٣) أي عدلاً. وقال بعضهم خياراً، اللفظان مختلفان والمعني واحد؛ لأنَّ العدل خير والخير عدل.

فهذا التفسير الوسط وحقيقة معناه، وأنَّه اسم لما بين طرفي الشيء، وهو منه.

---

(١) وهو: عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ﷺ.

والعرجي نسبة إلي العرج وهو موضع كان ينزله قبل الطائف انظر"ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمة" أبي جعفر مُحَمَّد ابن حبيب.

(٢) حديث رواه العجلوني في "كشف الخفا ومزيل الإلباس " (٤٦٩/١) حديث رقم (١٢٤٧) قال: قال ابن الغرس: ضعيف وقال في المقاصد: رواه ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد لكن بسند مجهول عن علي مرفوعاً، وللديلمي بلا سند عن ابن عباس " خير الأعمال أوسطها " في حديث أوله " دوموا علي أداء الفرائض ".

وأما " الوسط " بسكون السين فهو ظرف لا اسم، جاء على وزن نظيره في المعني وهو " بين " تقول: جلست وسط القوم أي بينهم، قال سوار بن المضرب:

إني كأني أرى من لا حياء له ولا أمانة وسط الناس عُريانا.

ولما كانت " بين " ظرفاً كانت " وسط " ظرفاً، ولهذا جاءت ساكنة الأوسط لتكون على وزنها، ولما كانت " بين " لا تكون بعضاً لما يضاف إليها بخلاف " الوسط " الذي هو بعض ما يضاف إليه، وكذلك " وسط " لا تكون بعض ما تضاف إليه. ألا ترى أن وسط الدار منها، ووسط القوم غيرهم؟

هذا وقد يقع أحد اللفظين مكان الآخر على جهة الاتساع والخروج عن الأصل.

وقيل: كل منهما يقع موقع الآخر، وهو الأشبه والأقوى.

والأصل في الوسط أن يستعمل وصفاً للأمور الحسيَّة المادية، كما في الأمثلة السابقة: وسط الدار، وسط الحبل وسط الرمح، ثم يستعار ذلك لوصف الأمور المعنويَّة نحو: أوسطهم نسباً وعلماً، والدين الوسط.

المبحث الثاني

٢- معني الوسطيَة في القرآن الكريم

معني الوسط في القرآن الكريم ووجوه استعماله

قال الراغب الأصفهاني " والوسط تارة " يقال فيما له طرفان مذمومان كالجواد الذي هو بين البخل والسرف، فيستعمل القصد المصون عن الإفراط والتفريط، فيمدح به نحو السواء والعدل والنصف، نحو قوله:

" *وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً* " (البقرة /١٤٣) وعلى ذلك قوله تعالى :

" *قَالَ أَوْسَطُهُمْ* " (القلم/٢٨).

وتارة يقال فيما له طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشر، ويكني به عن الرذل، نحو قولهم: فلان وسط من الرجال، تنبيهاً أنَّه قد خرج من حد الخير (١).

وقال أبو عبد الله الدامغاني تفسير الوسط على وجهين

الوجه الأول : " العدل الوسط بعينه فوجه منهما وسطا أي عدلاً، كما في قوله تعالى

" *وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً* " (البقرة /١٤٣) يعني : عدلاً وقوله تعالى " *مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ* " (المائدة /٨٩) يعني أعدل ".

والوجه الثاني : الوسط بعينه، كقوله تعالى " *حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى* "

(البقرة /٢٣٨) يعني صلاة العصر وقيل الصبح "(٢).

---

(١) مفردات القرآن (ص/٨٦٩) الراغب الأصفهاني.

(٢) الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز للدامغاني (٢/٢٧٩)

شرح معني الوسط في قوله تعالى" *وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً* (البقرة /١٤٣) إعجاز قرآني عجيب!!

من إعجاز القرآن الكريم المبهر إذا تأملنا هذه الآية الكريمة نجدها تقع في وسط سورة البقرة تماماً ورقمها "١٤٣" وعدد آيات سورة البقرة "٢٨٦" فنجد أنَّ الآية الكريمة تقع في منتصف السورة ووسطها بالضبط، أي أنَّ آية الوسطية جاءت على نفس منهج الوسطيَّة تماماً وسبحان الله العظيم وهذا من الإعجازالعددي الترتيبي لآيات القرآن الكريم.

جاء معنى الوسط في الآية الكريمة على أربعة معان كلها متقاربة تماماً.

القول الأول: الوسط :وهو العدل

ويدل على هذا قوله تعالى " *قَالَ أَوْسَطُهُمْ* " (القلم/٢٨) أي : أعدلهم وصح عن النبي ﷺ في قوله "*أُمَّةً وَسَطاً* " قال: عدولاً [١] وهو منقول عن أئمة اللغة.

قال زهير بن أبي سلمي:.

هم وسط يرضي الأنام بحكمهم إذا أنزلت إحدي الليالي بمعظم

قال البقاعي[٢] " مادة الوسط " بتصاريفها تدل على العدل السواء الذي نسبته إلى كل الجوانب التساوي، ويلزم أن يكون أعلى من غيره، لأن أكثر المخلوقات كُري وكل ما كان في وسط الكرة كان أعلى، ويلزم العدل الجودة،ويلزم العلو: الغلبة والسطوة والكثرة والشدة والصلاة الوسطى أفضل الصلوات ا.هـ

---

(١) أخرجه البخاري .كتاب الأنبياء من حديث أبي سعيد (١٣٤/٤)

وأخرجه في كتاب التفسير (٣١/٦) أنظر شرح القسطلاني (٣٣٨/٥).

(٢) تفسير البقاعي (٢٠٦/٢) برهان الدين البقاعي

القول الثاني:. الوسط: الخيار من الشيء:

قال أبو حيان الجياني المفسر[1] (ت سنة ٧٥٤)

الوسط لما بين الطرفين وصف به، فأطلق على الخيار من الشيء، لأنَّ الأطراف يتسارع إليها الخلل، ولكونه أسماً مصدراً كان للواحد والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد، ووسط الوادي خير موضع فيه، وأكثره كلأ وماء، ويقال "فلان أوسط قومه"، وإنه "وسط قومه"، ووسط قومه أي خيارهم وأهل الحسب فيهم.

القول الثالث:. الوسط :الأكثر فضلاً.

فإذا قيل فلان أوسطنا نسباً، فالمعنى أنه أكثر فضلاً، وهذا وسط فيهم كواسطة القلادة.

القول الرابع:. الوسط: متوسطون في الدين.

أي بين المفرط والمفرط، والغالي والمقصر في الأشياء؛ فهم وسط بين اليهود والنصارى كما تقدم.

قال البقاعي[2] وسالك الوسط من الطرفين محفوظ من الغلط، ومتى زاغ عن الوسط حصل الجور الموقع في الضلال عن القصد.

---

(١) البحر المحيط (٤١٨/١) أبو حيان الغرناطي الجياني النحوي المفسر.

وللمزيد أنظر تفسير الفخر الرازي (٥١٠٧/٤) وتفسير الطبري (١٤١/٣) وتفسير ابن كثير (٢٧٥/١).

(٢) تفسير البقاعي (٢٠٦/٢).

المبحث الثالث

٣- معني الوسطيَّة في السنة النبويَّة.

فسَّر النبي ﷺ الوسطيَّة في السنة بالعدل قال ﷺ :" يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم أي رب فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم وأمته، فنشهد أنَّه قد بلغ، وهو قوله جلَّ ذكره

" *وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ* "قال وسطاً: عدلاً [(١)].

قال القرطبي (ت ٦٧١ هـ -١٢٧٣ م): وسطاً؛ الوسط: العدل، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها، وفي التنزيل " *قَالَ أَوْسَطُهُمْ* " (القلم/٢٨) أي : أعدلهم وخيرهم، وفي الحديث " خير الأمور أوسطها " وقد تقدم تخريجه.

وعن علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه في الجنَّة " عليكم بالنمط الأوسط فإليه ينزل العالي،و إليه يرتفع النازل "

" وليست الأمة المحمديَّة تشهد على أمة نوح فقط، ولكنها تشهد على كل الأمم السابقة، وقد روى ذلك في حديث مطول رواه ابن المبارك وفيه "فتقول تلك الأمم كيف يشهد علينا من لم يدركنا؟" فيقول لهم الرب سبحانه: كيف تشهدون

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد .كتاب الأنبياء باب " إن أرسلنا نوحاً إلي قومه " (١٣٤/٤) أنظر شرح القسطلاني (٣٣٨/٥) وأخرجه البخاري في كتاب التفسير (٣١/٦) بلفظ مقارب، وأخرجه الترمذي بلفظ قريب، وقال عنه " حسن صحيح " وأخرجه ابن ماجه (٢٩٧/٢) في باب: صفة أمة مُحَمَّد. أنظر الأحاديث القدسية (٤٨٣/٢-٤٨٤) جمع النشرتي وآخرون.

على من لم تدركوا؟ فيقولون: ربنا بعثت إلينا رسولاً وأنزلت إلينا عهدك وكتابك، وقصصت علينا، أنهم قد بلغوا فشهدنا بما عهدت إلينا فيقول الرب: صدقوا. ذلك قوله تعالى "*وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً* ".

والوسط: العدل لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً.

قال ابن أنعم: فبلغني أنَّه يشهد يومئذ أمة مُحَمَّد إلا من كان في قلبه حنة على أخيه [1].

الشيطان يحارب الوسطية بالغلو والتقصير.

قال العجلوني المحدث[2] روي العسكري عن الأوزاعي عنه ﷺ أنَّه قال:. " ما من أمر أمر الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين لا يبالي أيهما أصاب: الغلو أو التقصير".

ولأبي يعلى بسند جيد عن وهب بن منبه قال:. " إن لكل شيء طرفين ووسطاً، فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر وإذا أمسك بالوسط إعتدل الطرفان فعليكم بالأوساط من الأشياء ".

ولبعض الشعراء: [3]

عليك بأوسط الأمور فإنها نجاة، ولا تركب ذلولاً ولا صعباً

وللآخر :

حب التناهي غلط خير الأمور الوسط

وقال الآخر :

لا تذهبن في الأمور فرطـــاً، لا تسألن إن سألت شططا، وكن من الناس جميعا وسطا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/١٣٥) للقرطبي تفسير سورة البقرة.

(٢) كشف الخفا (١/٤٧٠) إسماعيل بن مُحَمَّد العجلوني الجراحي.

(٣) البيان والتبيين (١/٢٥٥) للجاحظ.

شرح حديث " خير الأمور أوساطها "

قال ابن الأثير في النهاية:[١] (ت سنة ٦٠٦ هـ)

"كل خصلة محمودة فلها طرفان مذمومان، فإنَّ السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم، وتجنبه بالتبري منه، والبعد عنه، فكلما ازداد منه بعداً ازداد من الوسط قرباً، وأبعد الجهات والمقادير والمعاني من كل طرفين وسطهما وهو غاية في البعد عنهما، فإذا كان في الوسط فقد بعد عن الأطراف المذمومة بقدر الإمكان " ا.هـ.

والوسط يجيء في المعاني المعقولة، كما يجيء في الأشياء المحسوسة، ومن ذلك قول أعرابي للحسن[٢]

" علمني ديناً وسوطاً، لا ذهباً فروطاً، ولا ساقطاً سقوطاً ".

فالوسط هو المتوسط بين الغالي والتالي، ومن ذلك قول علي ﷺ " خير الناس هذا النمط الأوسط يلحق بهم التالي، ويرجع إليهم الغالي " قال عمر بن الخطاب ﷺ[٣] " أوشك الله أن يقبض هذا العلم قبضاً سريعاً فمن كان عنده منه شيء فلينشره، غير الغالي فيه ولا الجافي عنه ".

قال ابن منظور في اللسان [٤] في مادة " جفا " الجفا: يقصر ويمد خلاف البر نقيض الصلة.

وقال [١] في مادة " غلا " الغلو: التشدد ومجاوزة الحد.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر المبارك بن مُحَمَّد بن الأثير أنظر البيان والتبيين (٢٥٥/١) للجاحظ بلفظ " لا ذاهباً شطوطاً، ولا هابطا هبوطاً ".

(٢) بيان للناس (١١/١) الشيخ جاد الحق علي جاد الحق

(٣) مناقب عمر بن الخطاب (ص/١٨٣) أبي الفرج بن الجوزي.

(٤) لسان العرب (١٦١/١٨) لابن منظور الإفريقي.

النهي عن الغلو في الدين ومجاوزة الحد.

وفي الحديث [٢] : " إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم،والسلطان المقسط،وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه"

قال ابن رجب [٣] :فالغلو من صفات النصارى والجفاء من صفات اليهود، والقصد هو المأمور.

قال ابن منظور [٤] :

وقوله " وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه إنما قال ذلك لأن من آدابه وأخلاقه التي أمر بها القصد في الأمور، وخير الأمور .

---

(١) لسان العرب (٣٦٨/١٩) لابن منظور الإفريقي.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي.

(٣) الحكم الجديرة بالإذاعة (ص/٥٩).

(٤) لسان العرب (٣٦٨/١٩).

الفصل الثاني:.
طريقة المشرع في التشريع [1]

للشريعة الإسلاميَّة ميادين ثلاثة تصول فيها وتجول وهي:. العقائد، العبادات، المعاملات.

١. أسلوب المشرع في ميدان العقائد هو أسلوب المخبر الواصف.

في ميدان العقائد جاءت الشريعة بأسلوب المخبر الواصف فالعقائد التي يفرض علينا الدين أن نؤمن بها ما هي إلا حقائق ثابتة في نفسها ولها وجود واقعي، وهي تفترق في هذا عن المبادئ والأحكام التي هي من قبيل الإنشاء والتي تشرع للناس بعد أن لم تكن، وتتغير أحياناً بتغير الزمان والمكان وتقبل النسخ في عهد الرسالة، وإذا أردنا أن نعبر عن هذا المعنى بالعبارة الفنية عند علماء الأصول قلنا:

" أن العقائد من باب الأخبار، والأخبار لا تقبل النسخ "؛ لان النسخ هو الإزالة والتغيير، والواقع يخبر عنه أو يوصف ولكنه لا يغير ولا يرفع فالألوهيَّة وصفاتها حقائق ثابتة، والرسالة والوحي والكتب السماوية حقائق ثابتة، والجنة والنار والنعيم والعذاب كل ذلك حقائق ثابتة، وليس للدين فيها دور يقوم به إلا دور الكشف عنها والاستدلال عليها، والإقناع بها فلا هو بالذي أنشأها، ولا هو بالذي يبدلها أو يزيلها أو ينسخها؛ ومن هنا قالوا:.

" إن العقائد لا تقبل النسخ، ولا تتغير بتغير الزمان أو المكان، ولا يسوغ أن تكون محل اجتهاد ".

٢. أسلوب المشرع في ميدان العبادات أسلوب المنشئ المجدد.

أما العبادات فهي تختلف عن العقائد في أنها إنشاءات أنشأها الله تعالى، ورسم حدودها، وهيأها على صور خاصة، وطلب من عباده أن يعبدوه بها.

---

(١) مرجع سابق (ص/١٠٣.١٠٤) بتصرف .

فالصلاة عبادة منشأة مؤلفة من أفعال خاصة وأقوال خاصة على ترتيب خاص.

والصيام إمساك عن الطعام والشراب وجميع الشهوات في زمان مخصص.

والحج مناسك معينة لها رسومها وأوقاتها وأماكنها وأركانها وشروطها، وهكذا...

ومن الواضح أنها ليست كالعقائد أي ليست حقائق واقعية " مهمة المشرع " أن يكشف عنها، فإنما هي صورة ركبها وهيأها ورسمها وأنشأها بعد أن لم تكن، وهذا محض حقه باعتباره هو الإله المعبود فمن حقه أن يشرع لعباده ما يعبدونه به، وعليهم أن يرجعوا إليه في معرفة ذلك كماً وكيفاً ومكاناً وزماناً ولهذا يقول أهل الشريعة في إحدي قواعدهم المشهورة. " لا يعبد الله إلا بما شرع ".

فالأصل في العبادات والقرب أنها ممنوعة حتى يرد من الشارع ما يدل على طلبها، ويبين لنا هيئتها ورسومها الخاصة ولا يجوز لأحد أن يؤلف عبادة من عنده أو يتصرف في صورة من العبادة المشروعة ثمَّ يعبد الله بذلك، وفي هذا يقول القرآن الكريم ناعياً على المشركين :

"*أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ* " (الشورى /٢١).

وبهذا الأصل أبطلت البدع في الدين والعبادات ما يتصل بها فكل من أراد القربة فعليه أن يتقرب إلى الله بما شرعه، ومن تقرب إليه بما لم يشرعه، ولو كان مظهره طاعة وقربة، فإنه مبتدع متلاعب بالدين.

ومثل ذلك كما لو قال قائل: سأصلي الظهر خمساً بدل أربع، أو أصلي المغرب أربعاً بدل ثلاث، أو أجعل الركعة ذات ركوعين بدل ركوع واحد، أو أتجه إلى بيت المقدس، أو إلى المدينة بدل اتجاهه إلى الكعبة، وأصوم شعبان بدل رمضان، أو نحو ذلك فكل هذا افتئات على الدين وباطل شرعاً، وعلى حق المعبود ـ ﷻ ـ أن يضع أسلوب عبادته، ولا يرضي سواها.

٣. أسلوب المشرع في ميدان المعاملات أسلوب الناقد المهذب.

وأما موقف المشرع في ميدان المعاملات فهو موقف الناقد المهذب، ويختلف إختلافاً جوهرياً عن موقفه في كل من ميدان العقائد، وميدان العبادات، إنَّ الشريعة ليست هي التي أنشأت للناس صور للتبادل والتعاون والتعامل، ولكنها جاءت فوجدت صوراً يتعامل الناس بها فكان لها موقف منها، غير موقف الإنشاء والرسم غير موقف الأخبار والوصف.

وذلك الموقف هو: موقف الإقرار أو التعامل أو الإلغاء وهو المسمي " أسلوب الناقد المهذب "

وهي لا تتدخل في هذا الميدان إلا بمقدار ما تحمي مثلها ومبادئها التي جاءت بها، من العدل والتيسير والرحمة ودفع أسباب التشاحن والبغضاء، وربط أفراد المجتمع برباط من المحبة والتعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

إنَّ هذا هو ما حدثنا به تاريخ التشريع الإسلامي، من موقف النبي ﷺ حين قدم المدينة، وكان فيها مجتمع، وفيها أسواق ولها صور معينة في البيع والشراء والتعامل والتعاون بالمزارعة والمساقاة، والمضاربة، والتسليم، والقرض، والرهن والهبة،...وغير ذلك.

فلم يكن الرسول ﷺ هو الذي أنشأ ذلك باسم الشريعة، ولم ينزل الله تعالى في شيء من هذه الآية أو الآيات تصنيف إلى ما كان لوناً آخر لم يكن، وإنما كان موقفه موقف الناقد المهذب فقط، هذه المعاملة تحقق مصالح الناس ولا ضرر فيها، فهي مقبولة، ولا اعتراض عليها وهذه المعاملة فيها ضرر بين، أو تؤدي إلى الشحناء والبغضاء أو تنافي الفضيلة وما يجب من التعاون على البر والتقوى، فهي غير مقبولة.

وهذه المعاملة ليست خيراً كلها، وليست شراً كلها، فإذا استطعنا أن نخلصها إلى الخير أو نتجاوز عن بعض ما فيها من الضرر أو الغرر ملاحظة للصالح العام، وأخذاً بجانب التيسير على الناس وتقدير حاجاتهم فلا بأس من الترخيص بها، و النزول على حكم العرف والمجتمع في قبول التعامل عليها ".

هذا كان موقف الرسول ﷺ أي موقف الإسلام من مجتمع المدينة ووجوه التعامل فيه، ومن هنا نري أهل العلم بالشريعة كما وضعوا في جانب العبادات القاعدة التي ذكرناها وهي: " لا يعبد الله إلا بما شرع " وضعوا في جانب المعاملات قاعدة أخري مقابلة لها تقول: " المعاملات طلق حتى يرد المنع ".

وفي هذا قال العلامة ابن القيم الجوزية (ت/٧٥١ هـ) [1]

" الأصل في العبادات البطلان حتى يقوم دليل على الأمر والأصل في العقود والمعاملات الصحة حتى يقوم دليل على البطلان والتحريم، والفرق بينهما أن الله سبحانه وتعالى لا يعبد إلا بما شرعه على ألسنة رسله، فإن العبادة حقه على عباده، وحقه الذي أحقه هو ورضي به وشرعه، أما العقود والشروط والمعاملات، فهي عفو حتى يحرمها، ولهذا نعى الله سبحانه على المشركين مخالفة هذين الأصلين، وهو تحريم ما لم يحرمه، والتقرب إليه بما لم يشرعه فإن الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرَّمه الله، وما سكت عنه فهو عفو فكل شرط وعقد ومعاملة سكت عنها فإنَّه لا يجوز القول بتحريمها فإنه سكت عنها رحمة غير نسيان وإهمال " انتهي.

وهناك أمر ينبغي ألا يغيب عنا ونحن بصدد موقف الإسلام من المعاملات التي رأي الناس يتعاملون بها، ذلك هو ما اصطلح الفقهاء والأصوليون على تسميته (بالترخيص) فإنَّه مع الإعتراف بأن الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قد نظر إلى بعض المعاملات نظرة أساسها الرفق بالناس، وتقدير ما تدعو إليه الحاجة من تسامح

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/٢٩٩. ٣٠٠).

وتيسير، فأباح هذه المعاملات مغضياً عما يلابسها من بعض الغبن أو الغرور أو الجهالة، فإننا نجد الجمهرة الكبرى من علماء المذاهب الإسلامية يقفون أمام هذه المعاملات موقف يعتبرها استثناء وترخيصاً على خلاف القواعد العامة، ويرتبون على ذلك أن أحكامها خاصة لا تنسحب على غير الصور التي وردت فيها، ولا تتعدي موضعها ويضعون الشروط والأوصاف للحالة التي ورد فيها الترخيص حتى لا ينتقل الحكم إلى غيرها، وهذا مسلك فيه من الحرج والتضييق مالا يتفق وروح التشريع في المعاملات.

الأصل في المعاملات الإباحة:.

ومظاهر التطور الزمني في الحاجات والضرورات، وهو يعد عكس للقضية التي شرحناها آنفاً،من أن المعاملات على الإباحة حتى يرد النهي، فالشارع لا يستعمل أسلوب النهي العام المطرد في المعاملات حتى يسوغ لنا إذا رأينا صورة تخرج على هذا العموم أن نعتبرها استثناءاً وترخيصاً، إنما العموم الأصلي للإباحة وما جاء على خلافها فإنما هو التعديل والاستثناء.

إذن فالمنع من بعض الصور هو منع جزئي شخصي لا يسري إلى غير الصورة أو الصور الممنوعة مهما تعددت، فكيف يعتبر ما وراء هذه الصورة أو الصور استثناء وهو لم يدخل في العموم، وكيف يعتبر ترخيصاً وإحلالاً بعد التحريم، والفرض أنَّه هو القاعدة، وأنَّ حكم الحل مصاحب له من قبل بمقتضى الإباحة الأصليَّة، وبمقتضى القاعدة الآنفة الذكر في المعاملات.

إنَّ منطق هذه القاعدة وهي كون الأصل في المعاملات الحل يجعلنا نقول إن الذي حرم هو الذي استثنى من الحل ويبقي كل ما وراءه حلالاً ".

الفصل الثالث
مجيء التكاليف في حدود الاستطاعة

مجيء التكاليف في حدود الإستطاعة

يعبر عن ذلك في الشريعة الإسلاميَّة " بنفي الحرج " فهو أصل من الأصول المقطوع بها، ولا خلاف عليه بين علماء الشريعة، ويدل عليه في القرآن الكريم ما يأتي من الآيات:.

الشواهد القرآنية:.

" *يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ* " (البقرة /١٨٥).

"*يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ* الإنسَانُ *ضَعِيفًا* " (النساء /٢٨).

" *فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ* " *(آل عمران /١٩٥).*

"*الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ* يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ " (الأعراف /١٥٧).

" *رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا*رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا* طَاقَةَ لَنَا بِهِ " (البقرة/١٨٦)**

الشواهد من السنة المطهرة:.

وقد سرى هذا المبدأ من الكتاب إلى السنة المطهرة: فقد روي جابر عن النبي ﷺ أنه قال: (بعثت بالحنفية السمحة) [1] وفي رواية أم المؤمنين عائشة ﵂:" إني بعثت بالحنيفية السمحة " وقد تقدم تخريجه.

من شمائل النبي ﷺ إختيار الأيسر

قال البخاري [2] عن عائشة ﵂ قالت:" ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها".

إذا أمرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم

---

(١) رواه العجلوني في كشف الخفا (٢٤٠/١) حديث رقم (٩١٤) وقال رواه الخطيب عن جابر بزيادة " ومن خالف سنتي فليس مني " وفي قوله " إني بعثت بالحنيفة السمحة " قال العجلوني في الكشف (٢٥١/١) الحديث رقم (٦٥٨) رواه اليلمي عن عائشة ﵂ في حديث الحبشة ولعبهم، ونظر عائشة إليهم بلفظ " ليعلم يهود أن في ديننا فسحة، وأني بعثت بالحنيفة السمحة " رواه أحمد بسند حسن عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ . يومئذ . " ليعلم يهود أني أرسلت بالحنيفية السمحة وفي الباب عن أبي وجابر وابن عمر وأبي هريرة وغيرهم، وترجم البخاري في صحيحة بلفظ " أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة " وراواه في " الأدب المفرد " عن ابن عباس بلفظ: قيل لرسول الله ﷺ أي الأديان أحب إلى الله؟ قال الحنيفية السمحة"

وقال النجم الغزي الحديث أخرجه الخطيب البغدادي عن جابر.ا.هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٦/٦) في المناقب، وأعاده في مواضع أخري (٥٢٤/١٠)،(١٧٦/٨٦/١٢)، ورواه مسلم (١٨١٣/٤)، ومالك في الموطأ (٢٤٤/٥) شرح الزرقاني، ورواه أبو داود (١٤٢/٤)، وراواه القاضي عياض في " الشفا بتعريف حقوق المصطفي " (ص٨١)

روي مسلم[1] عن أبي هريرة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: " أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا: فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتي قالها ثلاثاً فقال رسول الله ﷺ:" لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم " ثم فقال " ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ".

وقال الدارقطني بعد روايته لهذا الحديث فنزل قوله تعالى " *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ* " (المائدة /١٠١).فالحديث الشريف السابق يوضح أسباب نزول الآية الكريمة.

وعن أبي ثعلبة الخشني " جرثوم بن ناشر" ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:

" إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها "[2].

وقال عبيد بن عمير: إن الله عز وجل أحل حلالاً وحرم حراماً فما أحل فهو حلالاً وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو "[3]

قال ابن رجب الحنبلي [1] (ت سنة٧٩٥ هـ) :

---

(١)أخرجه مسلم في كتاب الفضائل: باب توقيره صلي الله عليه وسلم. وأعاده في (١٨٣٠/٤)، والنسائي في الحج (١١٠/٥، ١١١) أنظر شرح الحديث رقم"٩" في جامع العلوم والحكمة لابن رجب الحنبلي ص(١٢٦/١١٤)، أنظر تفسير ابن كثير القرشي (١٠٥/٢)، كما خرجه الدارقطني من وجه آخر مختصراً.

(٢) حديث حسن رواه الدارقطني وغيره، ورواه البزار في مسنده، والحاكم من حديث أبي الدرداء، والطبراني من حديثه أيضاً، أنظر شرح الحديث رقم "٣٠" في " جامع العلوم والحكم " لابن رجب الحنبلي (ص/٣٧٦- ٣٩٠).

(٣) جامع العلوم والحكم (ص/٣٧٧).

حديث أبي ثعلبة قسَّم فيه أحكام الله أربعة أقسام:. فرائض، ومحارم، وحدود، ومسكوت عنه، وذلك يجمع أحكام الدين كلها.

قال أبو بكر بن السمعاني:.

" هذا الحديث أصل من أصول الدين وفروعه "

قال: وحكى عن بعضهم أنَّه قال:ليس في أحاديث رسول الله ﷺ حديث واحد أجمع بانفراده لأصول الدين وفروعه من حديث أبي ثعلبة

قال: وحكي عن أبي واثلة المزني أنَّه قال: جمع رسول الله ﷺ الدين في أربع كلمات ثم ذكر حديث أبي ثعلبة.ا.هـ.

إلي غير ذلك مما يدل على أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد تأثر أعظم التأثر بمنهج الوسطيَّة في التشريع القرآني فيما أمر به أو بينه أو ركن إليه، وفي بيان هذا الأصل وغيره.

الشريعة ومصالح العباد

قال ابن القيم [٢] رحمه الله تعالى (توفي سنة ٧٥١هـ)

"... فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إل العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه " انتهى.

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص/٣٧٧).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/٣).

سماحة الشريعة الإسلاميَّة

قال أبو اسحاق الشاطبي[1] (ت سنة ٧٩٠ هـ)

" إن وضع هذه الشريعة المباركة حنيفية سمحة سهلة، وحفظ فيها على الخلق قلوبهم وحببها لهم بذلك، فلو عوملوا على خلاف السماح والسهولة لدخل عليهم فيما كلفوا به مالا تخلص به أعمالهم ألا تري إلى قوله تعالى:

" *وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ* لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " (الحجرات /٧-٨).

فقد أخبرت الآية أن الله حبب إلينا الإيمان بتيسيره وتسهيله، وزينه في قلوبنا بذلك وبالوعد الصادق بالجزاء عليه،وفي الحديث: " عليكم من الأعمال بما تطيقون، فإنَّ الله لا يمل حتى تملوا "[2]

أمثلة على سماحة الشريعة الإسلاميَّة

والأمثلة الدالة على رعاية هذا الأصل في التشريع القرآني كثيرة مشهورة منها:

١. تشريع الفطر في السفر والمرض

أن الله شرع الصيام ورخص في الفطر للمسافرين والمرضى قال تعالى:

"فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّام أُخَرَ"

(سورة البقرة/١٨٥).

---

(١) الموافقات في أصول الأحكام (٢/٩١- ٩٢).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/٥٨) حديث رقم (٧٨٢) .

روي البخاري ومسلم [1] عن جابر بن عبد الله (ﷺ) قال:"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى زحاماً ورجلاً قد ظلل عليه فقال " ما هذا؟" فقالوا: صائم فقال: ليس من البر الصوم في السفر ".

ووجه الدلالة في هذا الحديث أن الرجل قد بالغ في تهذيب نفسه فصام في السفر مع حصول الضرر فبين النبي ﷺ أنَّ فعله هذا ليس من البر والحق وسط يجوز الصوم في السفر لمن لم يصبه نصب من ذلك فقد ثبت أن رسول الله ﷺ صام في سفره أما إذا حصل النصب والتعب والمشقة فإن الرسول ﷺ قال " ليس من البر الصيام في السفر "

وروي مسلم[2] عن جابر بن عبد الله ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتي بلغ كراع الغميم[3] فصام الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه فقيل له بعد ذلك

: إن بعض الناس قد صام فقال " أولئك العصاة أولئك العصاة ".

قال النووي[4] قوله: فقيل له بعد ذلك إن بعض الناس قد صام فقال " أولئك العصاة أولئك العصاة " هكذا هو مكرر مرتين وهو محمول على من تضرر بالصوم أو أنهم أمروا بالفطر أمراً جازماً لمصلحة بيان جوازه فخالفوا الواجب،إلى أن قال: يؤيد التأويل الأول قوله في الرواية الثانية " إنَّ الناس قد شق عليهم الصيام " ا.هـ.

---

(١) رواه البخاري (١٨٣/٤)، ومسلم (٧٨٦/٣)، وأبو داود (٧٩٦/٢) والنسائي (١٧٥/٤)، وأحمد (٣٥٢،٢٩٩،٣١٧/٣) وقال أحمد رحمه الله (٤٣٤/٥) وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات وقد ألزم الدارقطني البخاري ومسلم إخراجه أنظر: الإلزامات.

(٢) رواه مسلم (٧٨٥/٢)، والترمذي (٨٠/٣-٨١) والنسائي (١٧٧/٤).

(٣) موقع بين مكة والمدينة.

(٤) النووي في شرحه علي مسلم (٢٣٢/٨).

فغلو بعض الصحابة وإتيانهم شيئاً زائداً على فعله ﷺ أدى ذلك إلى أن رسول الله ﷺ سماهم " العُصاة ".

٢- تشريع التيمم عند فقد الماء.

ومنها أنه كلفنا بالوضوء والغسل من الجنابة، وشرع التيمم عند فقد الماء أو عدم القدرة عليه

قال تعالى:

" فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (المائدة /٦).

٣- تشريع التمتع بالأزواج كل على قدره.

ومنها أنَّه أمر الأزواج بأن يمتعوا زوجاتهم قال تعالى "*عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ* وَعَلَى الْمُقْتِرِ[1] *قَدْرُهُ* مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ " (البقرة /٢٣٦).

ورسم في شئون الوالدات نهجاً لا ضرر فيه ولا ضرار قال تعالى " وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ *لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ* وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ " (البقرة /٢٣٣)

(١) المقتر: الفقير.

٤- جواز التقبيل للصائم.

روي مسلم [١] عن عمر بن أبي سلمة أنَّه سأل رسول الله ﷺ أيقبل الصائم؟ فقال رسول الله ﷺ " سل هذه " لأم سلمة: فأخبرته أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك فقال يا رسول الله قد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له ".

قال عبد العزيز اليمني[٢] " ووجه الدلالة فيه أنَّ عمر بن أبي سلمة رأى أنَّ رسول الله ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فظن عمر أن رسول الله ﷺ وإن بدر منه شيء من تحريك شهوة وغيرها فقد غفر الله له ذنبه ولن يؤاخذه عليه فبين له النبي ﷺ أنَّه لا هدي خير من هديه وتبين لنا من خلال ذلك أن فعل عمر فيه غلو ومبالغة فنهي عن ذلك.

٥- تشريع الضرورات تبيح المحظورات.

ومنها أنَّه حرم أشياء في حال السعة، وأباحها في حال الضرورة

قال تعالى ":إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ *فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ* إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (البقرة /١٧٣).

وقال تعالى " وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ *فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا* أَوْ *بِهِ أَذًى* مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ " (البقرة /١٩٦).

---

(١) مسلم (٢/٧٧٩).

(٢) قراع الأسنة (ص/١٨).

٦- إعطاء الطبائع حقها.

ومنها أنَّه يعطي الطبائع حقها، ولا يلزم بما ينافرها، فالطيبات مباحة، وزينة الله التي أخرج لعباده، والرهبانية ممنوعة[١] واعتزال النساء في المحيض واجب، والرفث[٢] إلى النساء ليلة الصيام حلال، والرجال قوامون علي النساء، وللذكر مثل حظ الأنثيين، ومواعدة المطلقة بالزواج أثناء العدة محرَّمة والجمع بين الأختين ممنوع، وحرام على الرجال التزوج من الأم أو الأخت أو العمة أو الخالة أو البنت...الخ، ففي الزواج منها امتهان لها، وحرام على الرجال زواج الإماء إلاَّ في حالة الضرورة، والرهن مشروع، والمعسر منظر، وهكذا....

٧- مراعاة ظروف الفرد في الواجب العيني، ومراعاة ظروف المجتمع في فروض الكفايات.

وقد ينقلب الواجب الحتم حراماً ويمنع الناس منه إذا ترتب على فعله حرج أو أذي أو فتنه،ومن ذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، ولكن إذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وفي ذلك يقول

ابن القيم (رحمه الله تعالى): [٣]

" وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه

يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي فأنكرت عليه وقلت له: إنَّما حرَّم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله

---

(١) يراجع الفصل الأول من الباب الثالث الخاص بموضوع " الرهبانية "

(٢) الرفث: الجماع ومقدماته وألفاظه.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/٣) ط: دار الحديث . القاهرة.

وعن الصلاة وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم " ا.هـ.

من هذا يتبين أنَّ التكاليف كما روعيت فيها طاقة الفرد في الواجبات العينية وأمثالها، لوحظت فيها أيضاً طاقة المجتمع في الواجبات الكفائية وأمثالها.

وينبغي أن يعلم أن الشارع لم يقصد إلى إلغاء كل نوع من أنواع المشاق إذا لم تكن خارجة عن المعتاد، وإنما وقعت على ما تقع المشقة في مثلها من أعمال العادية، فإن الشارع لا يقصد رفعه .

المشقَّة في الشريعة ليست مطلوبة لذاتها

ذكرنا أنَّ من الأصول العامة المقررة أن الشريعة الإسلامية هي شريعة التيسير والاعتدال، ورفع الحرج والمشقة عن المكلفين، وتوترات النصوص الشرعية لتقرير ذلك وبيانه حتي جزم الإمام الشاطبي أنها بلغت مبلغ القطع[1] قال تعالى " *يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْر* " (البقرة /١٨٥).

وقال تعالى " *وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ* " (الحج /٧٨).

ولكن الشارع الحكيم قد يكلف عباده ببعض العبادات التي لا تخلو من مشقة، ولكنها مشقة محتملة كأمرهم بالجهاد، والوضوء على المكاره، والصيام في الحر...ونحوها، ليبلوهم أيهم أحسن عملاً

قال الإمام ابن القيم [2] " الله سبحانه لم يبتل العبد ليهلكه، إنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته؛ فإن لله تعالى على العبد عبودية في الضراء كما له عبودية في السراء، وله عليه عبودية فيما يكره، كما له عبودية فيما يحب وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما

(١) الموافقات (١/٣٤٠).

(٢) الوابل الصيب (ص/١٨).

يحبون. والشأن في إعطاء العبودية في المكاره، فيه تفاوتت مراتب العباد، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى؛ فالوضوء بالماء البارد في شدة الحر عبودية، ومباشرة زوجته الحسناء التي يحبها عبودية، ونفقته عليها وعلى عياله ونفسه عبودية؛ وهذا الوضوء بالماء البارد في شدة البرد عبودية، وتركه المعصية التي اشتدت دواعي نفسه إليها من غير خوف من الناس عبودية، ونفقته في الضراء عبودية، ولكن فرق عظيم بين العبودتين، فمن كان عبداً لله في الحالتين قائماً بحقه في المكروه والمحبوب؛ فذلك الذي يتناوله قوله تعالى "*أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ* " (الزمر /٣٦).

فإذا تبين أن المشقة ليست مطلوبة لذاتها، فإنه لا يصح التقرب إلى الله تعالى بالمشاق، فإذا تيسر تسخين ماء الوضوء البارد ليتوضأ العبد بإسباغ وسكينة بلا مشقة فإن ذلك أولي من الوضوء بالماء البارد.

قال العز بن عبد السلام [١] " لا يصح التقرب بالمشاق؛ لأن القرب كلها تعظيم للرب سبحانه وتعالى، وليس عين المشاق تعظيماً ولا توقيراً ".

وقال الشاطبي [٢] " الشارع لم يقصد إلى التكاليف بالمشاق والإعنات فيه " ثم ذكر أن الدليل على ذلك أمور:

أحدهما: النصوص الدالة على ذلك كقوله تعالى " *وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ*" (الأعراف /١٥٧).

ولو كان قاصداً للمشقة لما كان مريداً لليسر ولا للتخفيف، ولكن مريداً للحرج والعسر، وذلك باطل.

والثاني: ما ثبت أيضاً من مشروعيَّة الرخص، وهو أمر مقطوع به، ومما علم من دين الأمة ضرورة كرخص القصر والفطر والجمع...

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/٣١).

(٢) الموافقات في أصول الأحكام (٢/١٢١).

ولو كان الشارع قاصداً للمشقة في التكاليف لما كان ثم ترخيص ولا تخفيف.

والثالث: الإجماع على عدم وقوعه وجوداً في التكاليف، وهو يدل على عدم قصد الشارع إليه، ولو كان واقعاً لحصل في الشريعة التناقض والإختلاف، وذلك منفي عنها؛ فإنه إذا كان وضع الشريعة على قصد الإعانات والمشقة، وقد ثبت أنها موضوعة عل قصد الرفق والتيسير، كان الجمع بينها تناقضاً واختلافاً وهي منزهة عن ذلك [1] **ا.هـ.**

قاعدة نفيسة في تقسيم المشاق

قال القرافي[2] **(ت سنة ٦٨٤ هـ)**

إنَّ المشاق قسمان:.

أحدهما: لا تنفك عنه العبادة

كالوضوء والغسل في البرد (أضاف العز بن عبد السلام هذه العبارة)

---

(١) الموافقات (٢/١٢١-١٢٣) " بتصرف "

(٢) أنوار البروق في أنواع الفروق (٢/٣٨) لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي القرافي، كتاب مطبوع في ٤ أجزاء بمطبعة (دار إحياء الكتب العربية) طبعة أولي (١٣٤٤هـ) مع حاشية ابن الشماط وتهذيب الفروق للشيخ مُحَمَّد علي بن الشيخ حسن مفتي المالكية بمكة المكرمة، ومخطوط ب (أصول تيمور /٢٣٨) فهارس دار الكتب المصرية ـ المخطوطات.

وأيضا قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/٧-٨) للعز بن عبد السلام نفس التقسيم لحروفه باختلاف بسيط جداً في الألفاظ.

" مشقة الوضوء والغسل في شدة السبرات[1]، وكمشقة إقامة الصلاة في الحر والبرد ولاسيما صلاة الفجر " ا.هـ قال القرافي وأيضاً الصوم في النهار الطويل والمخاطرة بالنفس في الجهاد ونحو ذلك فهذا القسم لا يوجب تخفيفاً في العبادة لأنه قرر معها .

أضاف العز بن عبد السلام في هذه الفقرة:. فهذه المشاق كلها لا أثر لها في إسقاط العبادات والطاعات، ولا في تخفيفها؛ لأنها لو أثرت لفاتت مصالح العبادات والطاعات في جميع الأوقات أو أغلب الأوقات، ولفات ما رتب عليها من المثوبات الباقيات ما دامت الأرض والسموات.

ثانيها:. المشاق التي تنفك عنها العبادة، وهي ثلاثة أنواع:

. نوع في الرتبة العليا: كالخوف على النفوس، والأعضاء والمنافع فيوجب التخفيف؛ لأن حفظ هذه الأمور هو سبب في مصالح الدنيا والآخرة، فلو حصلنا هذه العبادة لثوابها لذهب أمثال هذه العبادة.

. ونوع في المرتبة الدنيا: كأدنى وجع في إصبع، فتحصيل هذه العبادة أولي من درء هذه المشاقة لشرف العبادة وخفة المشقة.

. والثالث:. مشقة بين هذين النوعين :

فما قرب من العليا أوجب التخفيف، وما قرب من الدنيا لم يوجبه، وما توسط يختلف فيه لتجاذب الطرفين له. ا.هـ

ومن هذا يتبين معنى قولهم " المشقة توجب التيسير " و " الضرورات تبيح المحظورات ".

ونفهم لماذا تسقط النذور إذا صادمت أمراً ضرورياً أو حاجياً في الدين، كمن نذر المشي إلى مكّة فلم يستطع، أو نذر ألا يتزوج، أو لا يأكل الطعام أو نحو ذلك.

---

(١) السبرات: جمع سبرة وهي الغداة الباردة وقيل هي ما بين السحر إلى الصباح "لسان العرب"مادة " سبر ".

ونستطيع أن نلخص أنواع المشاق كالتالي:.

المشاق نوعان(١) :

١- المشاق التي لا تنفك عنها العبادة.

٢- المشاق التي تنفك عنها العبادة:.

وتنقسم إلى ثلاثة أنواع.

١- مشقة عظيمة فادحة:. مثل مشقة الخوف على النفوس وتوجب التخفيف

٢- مشقة خفيفة:.كأدنى وجع في إصبع أو صداع فلا يلتفت إليها.

٣- مشقة متوسطة:. ما كان منها أقرب إلى العليا الفادحة أوجب التخفيف وما كان أقرب إلى الدنيا لم يوجب التخفيف .

(١) هذا تقسيم القرافي (٣٨/٢) في الفروق، والعز بن عبد السلام (٢/٧-٨) في قواعد الأحكام في مصالح الأنام.

وشرح الشاطبي في الموافقات (١٢٣/٢).

الباب الثاني

مظاهر الوسطيّة في الإسلام

الفصل الأول
الوسطية في العقائد

قال تعالى " *وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاس وَيَكُون الرَّسُول عَلَيْكُمْ شَهِيدًا* " (البقرة /١٤٣).

قال ابن جرير الطبري (ت سنة ٣١٠ هـ) رحمه الله تعالى.

" وأرى أنَّ الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا غلو فيه، غلو أهل النصارى الذين غلو بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدَّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبيائهم، وكذبوا علي ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذا كان أحب الأمور إلى الله أوسطها "[1].

قال عبد الرحمن السعدي [2] (ت سنة ١٣٧٦ هـ) رحمه الله تعالى.

"والله عزَّ وجل جعل هذه الأمة وسطاً في كل أمور الدنيا، وسطاً في الأنبياء، بين من غلا فيهم كالنصارى، وبين من جفا منهم كاليهود، بأن آمنوا بهم كل على الوجه اللائق بذلك.

ووسطاً في الشريعة لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى، وفي باب الطهارة، والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وحُرِّمت عليهم الطيبات عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئاً، ولا يحرمون شيئاً بل أباحوا ما دب ودرج، بل طهارتهم أكمل طهارة،

---

(١) مجمع البيان (١٤٢/٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٩١٥٨/١) ط. مؤسسة الرسالة. بيروت لبنان ط: أولي.

وأتمها وأباح لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرمت عليهم الخبائث من ذلك.

فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها، ورهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا أمة وسطاً، كاملين معتدلين ليكونوا شهداء على الناس بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم ".ا.هـ.

قال سيد قطب [1] (ت سنة ١٣٨٦هـ) رحمه الله تعالى.

"وكذلك هذه الأُمَّة أمة وسط في التصور والاعتقاد...أمةً وسطاً في التفكير والشعور، لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة، ولا نتبع ـ كذلك ـ كل ناعق....

إنما نتمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول، ثم ننظر في كل نتاج للفكر والتجريب، وشعارهم الدائم: الحقيقة ضالة المؤمن أني وجدها أخذها في تثبت ويقين.

أمة وسط في التنظيم والتنسيق...لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب، وتزاوج بين هذه وتلك، فلا تكل الناس إلى سوط السلطان، ولا تكلهم ـ كذلك ـ إلى وحى الوجدان، ولكن مزاج من هذا وذاك ". ا. هـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [2] (ت سنة ٧٢٨ هـ) رحمه الله تعالى.

" وكذلك أهل السنة في الإسلام متوسطون في جميع الأمور فهم على وسط بين الخوارج والروافض، وكذلك عثمان وسط بين المراونية والزيدية وكذلك في سائر الصحابة وسط بين الغلاة فيهم والطاعنين عليهم، وهم في الوعيد وسط بين الخوارج

---

(١) في ظلال القرآن (١/١٣١) باختصار.

(٢) منهاج السنة النبوية (٥/١٦٨-١٧٣).

والمعتزلة وبين المرجئة، وهم في القدر وسط بين القدرية المجبرة من الجهمية ونحوهم، وهم في المعتزلة وسط بين المعطلة وبين الممثلة "

والمقصود أنَّ كل طائفة سوى أهل السنة والحديث المتبعين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا ينفردون عن سائر طوائف الأمة إلا بقول فاسد، لا ينفردون قط بقول صحيح، وكل من كان من السنة أبعد كان إنفراده بالأقوال والأفعال الباطلة أكثر.ا.هـ

ودين الإسلام هو دين الحنيفية السمحاء، ودين الوسطيَّة فمن تأمل أحكام الشريعة الإسلامية استطاع أن يدرك هذا الأمر، والعقيدة الإسلاميَّة عقيدة سهلة وبسيطة وأما التكاليف فهي ميسرة جداً ولنضرب على ذلك أمثلة:.

قال تعال " يا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا " (النساء /١٧١).

قال ابن كثير [1] (ت سنة ٧٧٤ هـ) رحمه الله تعالى:

ينهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فأنهم تجاوزا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاها الله إياه فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه كان سواء كان حقا أو باطلاً، أو ضلالاً أو رشاداً أو صحيحاً أو كذباً ولهذا قال:

الله تعالى " *اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ* " (التوبة /٣١).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٥٨٨).

وفي الحديث الذي رواه البخاري وأحمد[1] في المسند عن ابن عباس سمع عمر ﷺ يقول علَّى المنبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول :" لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ".

وروي أبو داود [2] عن أبي نضرة عن مطرف قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا فقال " السيد الله تبارك وتعالى " قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً فقال " قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان ".

قال الشيخ مُحَمَّد المدني[3] (ت سنة ١٣٨٨ هـ) رحمه الله تعالى.

" إنَّ العقيدة الإسلامية في الله عز وجل قائمة على وصفه تعالى بكل جميل، وتنزيهه عن كل قبيح، وقد أمرنا أن نفكر في آثار الله ولم نؤمر . بل نهينا . أن نفكر في ذات الله، لأن آثار الله في الخلق والإيجاد والتصرف واضحة يمكن أن نراها بعقولنا كما نراها بعيوننا وأن نسبح فيها السبح الطويل دون أن نخشى ضلالاً أو نخاف تيهاً، وأما ذات الله فهي فوق العقول التي ألفت التقدير والتكييف، والتحديد والقياس، والتشبيه، هذه العقيدة في جانب الألوهية كافية الإيمان وإن امرأ لقي ربه وهو يعلم أنَّه إله قادر

---

(١) رواه البخاري (٤٧٨/٦)، وأخرجه الدرامي في الرقاق (٣٢٠/٢)، وأخرجه أحمد في المسند (٤٧/١).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٤/٥) وقال هذا حديث صحيح رجاله كلهم ثقات ورواه أحمد في المسند (٢٥/٤).

وفي رواية أخري تفرد بها أحمد عن حماد عن حميد عن أنس (٢٤٩/٣) انه ﷺ قال " أنا مُحَمَّد عبد الله ورسوله أنا مُحَمَّد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل ".

(٣) مرجع سابق (٢٧-٢٨) بتصرف.

متصف بجميع صفات الكمال منزه عن جميع صفات النقص دون أن يعلم ما وراء ذلك من تفصيل في شأن الصفات لكان إيمانه عند الله مقبولاً.

وقد ركب متن الشطط قوم حاولوا أن يخوضوا بعقولهم في هذا المجال، كأنهم حسبوا أنهم قادرون عل إدراك ذات الله وكنهه، فعقدوا ما شاءوا بين الذات والصفات من نسب واختلفوا في أن الثانية هي عين الأولى أو غيرها وفي أنَّها قائمة أو مستقلة عنها، وفي أنها قديمة بقدمها أو كقدمها، إلى غير ذلك من الظنون والفروض التي شغلوا بها أنفسهم وشغلوا بها الناس وفتحوا بها على العقول أبواب الشكوك والفتن، وهم في ذلك إن لم يشبهوا فقد قاربوا وقالوا على الله بغير علم كما زعم الذين قالوا: اتخذ الله ولداً، أو الذين قالوا: الملائكة بنات الله، فالكل ينسب إلى الله ما لم يأذن به الله، ويحاول أن يتصور الإلوهية تصوراً مادياً، مع أن حقيقة النفس الإنسانية والروح البشرية لم تدرك ولم يعلم على وجه يصح ما هي ولا كيف هي!

كما ركب متن الشطط قوم تناسوا الله وخلقه وتصريفه وقدرته فزعموا أنَّ هذه الدنيا وليدة المصادفات أو التفاعلات، كذلك وجدت وكذلك ستظل حتى يصادفها الفساد، ويدركها نوع من الخلل في النسب والمقاييس.

اشتط هؤلاء وهؤلاء ووقف كل منهما في جانب الألوهيَّة على طرف مناقض: قوم يؤمنون بالإله ولكنهم يقحمون عقولهم فيما ليس لها طاقة به من معرفة كنهه وحقيقته، وقوم يفكرون به وينكرونه وتعمي قلوبهم عن آياته وآثاره، والقرآن الكريم ينادي أولئك وهؤلاء أن الهدي غير ما تزعمون.

قال تعالى " *وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ* "

(الأنعام /١٥٣).

الدعوة إلى التفكير في آثار الله تعالى:

يقول الله عزَّ وجل في حض العباد على التفكير في خلقه وآثاره وما له من تصريف وتدبير.

" *إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ* "(آل عمران /١٩٠).

" *قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ* " (يونس /١٠١).

" *فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ* " (العنكبوت /٢٠).

" *انظُرُواْ إِلِى ثَمرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ* " (الأنعام /٩٩).

" فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا " (الروم /٥٠).

" *قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا* " (الأنعام /١١).

" *وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُون* " (الذاريات /٢١).

ويقول الله عز وجل في وصفه نفسه، وإعلام المخلوقين بأنَّه فوق ما يعقلون أو يدركون.

" *وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ* " (الأنعام /١٨).

" *لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ* " (الشورى /١١).

" وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " (الأنعام /١٠٠-١٠٣).

فالقرآن الكريم لم يأت لنا أبداً بشيء يفصح عن ذات الله تعالى من حيث الحقيقة ولكنه، يلفت دائماً إلى آثار الله في الخلق والتصريف.

الفصل الثاني
الوسطية والاقتصاد في العبادات

قال تعالى " *طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى* " (طه/١).

قال ابن كثير[١] أسند القاضي عياض (ت سنة ٥٤٤ هـ) في كتابه الشفاء[٢]

عن الربيع بن أنس قال: كان النبي ﷺ إذا صلَّى قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله تعالى " طه " يعني طأ الأرض يا مُحَمَّد " *مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى* " ثم قال: ولا يخفي ما في هذا الإكرام وحسن المعاملة. ا.هـ.

ومن أسباب نزوله أيضاً: أن المشركين من قريش قالوا:

ما أنزل هذا القرآن على مُحَمَّد إلا ليشقى فأنزل الله تعالى قوله " *طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى*".

ومن أسباب نزوله هذه الآية الكريمة أن الصحابة كانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة، وذلك من شدَّة العبادة والإقبال على الله تعالى فأنزل الآية الكريمة رحمة ورأفة بهم.

فالصلاة انقطاع عن المادة واتصال بالروح الأعلى، ولكن في أوقات مناسبة محصورة بحيث لا ينخلع الإنسان من حياته وأعماله ونشاطه، ولا ينخرط فيها انخراطاً كلياً فتظلم نفسه، ويتبارد حسه، والصوم ليس حرماناً كاملاً بالليل والنهار، أو قصراً على بعض المباحات دون بعض، وإنما هو حرمان وقتي لساعات محدودة، لك بعدها أن

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١٣٨/٣).

(٢) الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفي (ص/٣٣-٣٤) لأبي الفضل القاضي عياض بن موسي بن عياض اليحصبي.

تتناول كل ما تريد من المباح، وأن تلابس ما أحل الله لك، فيجتمع لك من هذا وذاك تربية الروح وتلبية الجسم.

وقل مثل هذا في الزكاة، والحج، والنكاح، والطلاق، وحل البيع، وحرمة الربا، والاعتراف بالحرب مع النهي عن الاعتداء، والأمر بأخذ الحذر مع النهى عن الإسراف في التظنن، وتشريع القصاص مع العدل والمساواة فيه وإباحة الإنتصار للنفس مع الترغيب في جانب العفو، وغير ذلك مما كلفنا الله إياه، وكانت سنَّة الإسلام فيه التوسط، دون ميل جانب التفريط أو جنوح إلى ناحية الإفراط.

وفي معني ذلك [1] أيضاً قال الحق تعالى " *يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ* " (البقرة /١٨٥).

وقد نزلت هذه الآية بخصوص الصيام قال تعالى " *فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ* "

على وجه الحتم والإلزام أي: فمن كان به مرض في بدنه يشق عليه الصيام معه أو يؤذيه أو كان على سفر في حال السفر فله أن يفطر فإذا أفطر فعليه عدة ما أفطره في السفر من الأيام

ولهذا قال:

" *يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ* ".

" أي إنما رخص لكم في الفطر في حال المرض وفي السفر مع تحتمه في حق المقيم الصحيح تيسيراً عليكم ورحمة بكم "[2].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٢٠٥) لابن كثير القرشي.

(٢) مرجع سابق

مظاهر القصد في العبادة وأدلته من السُنَّة المطهرة

وفي السنة المطهرة نماذج كثيرة من هذا التوجيه:.

فمنها عن أم المؤمنين عائشة ﵂ دخل عليها وعندها امرأة قال " من هذه؟" قال: هذه فلانة تذكر من صلاتها. قال" مه عليكم بما تطيقون فو الله لايمل الله حتى تملَّوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه "(١) .

قال النووي (٢) :

" ومه كلمة نهي وزجر، ومعني " لا يملَّ الله " أي لا يقطع ثوابه عنكم وجزاء أعمالكم ويعاملكم معاملة المال حتى تملوا فتتركوا فينبغي لكم أن تأخذوا ما تطيقون الدوام عليه ليدوم ثوابه لكم وفضله عليكم " . ا. هـ.

وقال النووي :في شرحه على مسلم(٣)

" عليكم من الأعمال ما تطيقون " أي تطيقون الدوام عليه بلا ضرر وفيه دليل على الحث على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق، وليس الحديث مختصاً بالصلاة بل هو عام في جميع أعمال البر، وفي الحديث: كما شفقته ﷺ بأمته لأنَّه أرشدهم إلى ما يصلحهم وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر، فتكون النفس أنشط والقلب منشرحاً فتتم العبادة، بخلاف من تعاطي الأعمال ما يشق فإنه بصدد أن يتركه أو يترك بعضه أو يفعله بكلفة وبغير إنشراح فيفوته خير عظيم، وقد ذم الله سبحانه وتعالى من اعتاد عبادةً ثم أفرط فقال تعالى:

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٥٨/٣) حديث رقم (٧٨٢) واللفظ هنا للبخاري أنظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني: باب الإقتصاد في العبادة.

(٢) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين (ص/٦٦). ط. بيروت تحقيق د/ مُحَمَّد جميل غازي.

(٣) مسلم بشرح النووي (٥٨/٣-٥٩). ط. بيروت – دار الفكر.

" *وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا* " (الحديد /٢٧).

وقد ندم عبد الله بن عمرو بن العاص على تركه قبول رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تخفيف العبادة ومجانبة التشديد ". ا. هـ وسوف نورد قصته مفصلة إن شاء الله تعالى.

أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل:

عن أم المؤمنين عائشة ﵂ أنها قالت[١]: كان لرسول الله ﷺ حصير، وكان يحجزه من الليل فيصلي فيه فجعل الناس يصلون بصلاته ويبسطه بالنهار فثابوا ذات ليلة فقال " يأيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لايمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله

ما دوم عليه وإن قل "

وكان آل مُحَمَّد ﷺ إذا عملوا عملاً أثبتوه فثبت العمل والدوام عليه أفضل من تحمل النفس ما لا تطيق؛ وبالتالي فإنَّ الإنسان سرعان ما يمل ويدع العمل فيفوته الثواب ويذهب عنه الأجر والمثوبة.

بيان هلاك المتشددون

وفي الحديث الذي رواه مسلم[٢] وغيره عن الأحنف بن قيس عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ " هلك المتنطعون " قالها ثلاثاً.

قال النووي[١] المتنطعون: المتعمقون والمتشددون في غير موضع التشدد.

---

(١) رواه مسلم (٣/٥٨-٥٩) نووي رقم (٧٨٢) وما بعده.

(٢) رواه مسلم (٤/٢٠٥٥)، ورواه أبو داود (٢/٨٥)، وأحمد في المسند (١/٣٨٦).

وقال النووي أيضاً في موضع آخر[٢] : هم المتعمقون الغالون المتجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم

وفي هذا المعنى جاء الحديث الذي روي في الصحيحين[٣]

الدين يُسر

قال البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال " إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة ".

ومعناه كما قال النووي [٤]: استعينوا على طاعة الله بالأعمال في وقت نشاطكم، وفراغ قلوبكم بحيث تستلذون العبادة ولا يسأمون مقصودكم،كما أن المسافر الحاذق يسير في هذه الأوقات، ويستريح هو ودابته في غيرها، فيصل في غير تعب. ا. هـ.

---

[١]، مسلم بشرح النووي (١٩٠/٨) حديث رقم (٢٦٧٠).

(٢) رياض الصالحين (ص/٦٧).

(٣) رواه البخاري (٩٣/١) كتاب الإيمان، وأما اللفظ " القصد القصد تبلغوا " فهو عند البخاري: كتاب الرقاق (٦٤٦٣). كما رواه مسلم (١٩٠/٨) حديث رقم (٢٦٧٠) ن ورواه احمد من حديث أبي برزة (٤٢٢/٤)، ومن حديث بريدة (٣٥٠/٥)، ورواه النسائي (١٢١/٨) وزاد " ويسروا "، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٥٤٦/١) تحت رقم (١٤٧٠)، وشرحه الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي شرحاً وافياً في كتابه " المحجه في سير الدلجة".

(٤) رياض الصالحين (ص/٦٧).

قال الشيخ مُحَمَّد علي عبد الرحيم [1] (ت سنة ١٤١٢هـ) رحمه الله تعالى.

دين الإسلام دين السهولة واليسر ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وخصال الإسلام كلها ميسرة ومحبوبة، وما كان منها سمحاً وسهلاً فهو أحب إلى الله تعالى.

ويؤيد ذلك ما رواه أحمد عن رسول الله ﷺ " خير دينكم أيسره "، وحينما بعث معاذاً وأبا موسى[2] إلي اليمن قال لهما " يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا وتطاوعا ولا تختلفا "

والتيسير سهل على النفس فلا يكثر ولا ينقطع في الطاعة حتي تملها النفس وتسأمها فالذي يشق عليه القيام في الصلاة، يتركه في القعود، والذي يشق عليه الصيام لمرض أو سفر يتركه إلى الإفطار، والذي يصعب عليه الوضوء بالماء لمرض و للبرد القارس ولم يتيسر له الماء الدفيء، يستبدل به التيمم، وهكذا يرفق بنفسه ولا يعسر عليها، وهذا ليس معناه التساهل إلى درجة التفريط ولكن المقصود هو الإعتدال دون إفراط ولا تفريط، لأن التقصير والغلو كلاهما غير محمود لخروجه عن الصواب..." انتهى.

---

(١) مجلة التوحيد المجلد (٢٠) (ص/١٩-٢١).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٥٩/٣)، وفي الأشربة (١٥٨٦/٣)، والبخاري في المغازي (٦٠/٨) مرسلاً عن أبي بردة.

ورواه البخاري في الجهاد (١٦٢/٦)، كما رواه مسلم برقم (١٧٣٣) من حديث أبي موسي الأشعري ﷺ.

من مظاهر الغلو والتنطع

المبالغة في المجافاة بين القدمين

ومن التنطع في العبادات أن يقف أحد المأمومين في الصلاة مجافياً قدمه بمسافة تزيد عن عرض كتفه، والمطلوب أيضاً ألا يلصق قدميه ليبعد قدمه اليمنى عن اليسرى بمسافة تعادل ما بين كتفيه، حتى لا يضع إحدي قدميه تحت كتف من جاوره في الصف أثناء الصلاة كما أنَّه إذا سجد في الصلاة الجماعية يلزمه أن يراعي عدم المضايقة إذا جافى بين ذراعيه أثناء السجود، وفي النصيحة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ينبغي أن يتجنب الغلظة في القول والقسوة في الموعظة.

مخالفة الُسنَّة وعدم الأخذ بالنصيحة

ومن التنطع في العبادة أيضاً عدم الأخذ بسنة الرسول ﷺ في السفر، وذلك بإتمام الصلاة الرباعية بدلاً من قصرها إلى ركعتين كما كان رسول الله ﷺ يفعل، ومن يسر الدين وسهولته الإشفاق على المسافرين، في البرد الشديد أو المطر، أو الوحل في الطريق، وذلك بالجمع بين صلاة المغرب والعشاء جمع تقديم في غير سفر، حتي لا يتعرض المصلون للضرر في السعي لصلاة العشاء، وفي كتاب الله العزيز

" *يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ* " (البقرة /١٨٥).

وقد ورد عن المعصوم ﷺ في حديث عائشة ﵂ " ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا إختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه " متفق عليه.

وقد ختم رسول الله ﷺ الحديث بقوله " واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"

والغدوة: السير أول النهار.

والدلجة: السيرآخر الليل، وفيه توجيه كريم إلى الإستعانة على العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة، وإذا كان ﷺ قد اختار أوقات السفر، لحصول النشاط فيها، فإن هذه الأوقات أروح ما يكون البدن للعبادة

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي[1] رحمه الله تعالى.

فعلمت بهذا أنه يؤخذ من هذا الحديث عدة قواعد:.

القاعدة الأولى: التيسير الشامل للشريعة على وجه العموم.

القاعدة الثانية: المشقة تجلب التيسير وقت حصولها.

القاعدة الثالثة: إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم.

القاعدة الرابعة: تنشيط أهل الأعمال، وتبشيرهم بالخير والثواب، المترتب على هذه الأعمال.

القاعدة الخامسة: الوصيَّة الجامعة في كيفية السير والسلوك إلى الله، والتي تغني عن كل شئ ولا يغني عنها شئ، فصلوات الله وسلامه على من أوتي جوامع الكلم ونوافعها" ا.هـ

فشرع الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه، لا إفراط ولا تفريط، ولهذا قال تعالى:

" *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ* " (المائدة /٨٧)

---

(١) الدين يسر مقال منشور بمجلة التوحيد العدد (١٢) السنة (٢١) (ص/١٢) الشيخ مُحَمَّد علي عبد الرحيم " رحمه الله تعالى ".

قاعدة نفيسة في النهى عن الغلو في الدين لشيخ الإسلام ابن تيمية[1] رحمه الله تعالى.

يقول الشيخ في معرض حديثه عن غلو أهل الكتاب في دينهم "...ومثل ما رواه ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ . غداة العقبة . وهو على ناقته " إلقط لي حصى فلقطت له سبع حصيات مثل حصى الحذف[2] فجعل ينفضهن في كفه، ويقول أمثال هؤلاء فارموا ".

ثم قال " أيها الناس! إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين " رواه أحمد والنسائي وابن ماجه من حديث عوف عن أبي جميلة عن زياد بن حصين عن أبي العالية عنه، وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

والغلو: هو مجاوزة الحد بأن يزاد على حد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك، والنصارى أكثر غلواً في الاعتقادات، والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن في قوله تعالى:

" *يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ* " (النساء /١٧١).

وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار، وهو داخل فيه فالغلو فيه مثل رمي الحجارة الكبار ونحو ذلك، بناءاً على أنه قد بالغ في الحصى الصغار، ثم على ذلك بأن ما أهلك من كان قبلنا إلا الغلو في الدين كما تراه في النصارى ا.هـ

---

(١) بتصرف من رسالة تحمل هذا العنوان وللمزيد " إقتصاد الصراط المستقيم " للشيخ ابن تيمية.

(٢) الحذف: وهو الحصى الصغير الذي يلهو به الأطفال ويحذفون به.

الأمة الإسلاميَّة وسط بين أهل الكتاب

وقال في موضع آخر[١]

" وتوسطت هذه الأمة في الطهارة والنجاسة، وفي الحلال والحرام، وفي الأخلاق، ولم يجردوا الشدة كما فعله الأولون[٢]، ولم يجردوا الرأفة كما فعله الآخرون[٣] ؛ بل عاملوا أعداء الله بالشدة، وعاملوا أولياء الله بالرأفة والرحمة، وقالوا: في المسيح ما قاله سبحانه وتعالى، وما قاله المسيح والحواريون، لا ما ابتدعه الغالون، والجافون "

نماذج من توجيه النبي ﷺ لأصحابه ونهيه عن التشدد والقصد في العبادة

١. قصة زينب " أم المؤمنين " رضي الله عنها

روى البخاري ومسلم[٤] عن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبلٌ ممدود بين ساريتين[٥]

فقال:" ما هذا؟ "

---

(١) رسالة في ابن تيمية إلي ملك قبرص المعروفة باسم " الرسالة القبرصية " (ص/٢٦).

(٢) يعني اليهود.

(٣) يعني النصارى.

(٤) رواه مسلم برقم "٧٨٤"،"٧٨٤" بطريق آخر (٦٠/٣) (ومسلم بشرح النووي) كتاب صلاة المسافرين . باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، كما رواه البخاري (٣٦/٣) وقال النووي في شرحه علي مسلم (٦٠/٣) وفيه:. " الحث علي الإقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق والأمر بالإقبال عليها بنشاط وأنه إذا فتر فليقعد حتى يذهب الفتور، وفيه إزالة المنكر باليد لمن تمكن منه، وفيه جواز التنقل في المسجد فإنها كانت تصلي النافلة فلم ينكر عليها ".

(٥) السارية: العمود. وكانت أعمدة مسجده ﷺ من جذوع النخل.

قالوا: لزينب تصلي فإذا كسلت أو فترت أمسكت به.

فقال:" حُلّوه ليصل أحدكم نشاطه ؛فإذا كسل أو فتر قعد".

وفي حديث زهير " فليقعد "، واللفظ هنا لمسلم.

فصدق من سماه الرؤف الرحيم " *لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيم* " (التوبة /١٨٢).

وذلك لأنَّ العنت والمشقة مضادة للفطرة الإنسانية والتشديد على النفس لا يرضاه الله لعباده فإن الله عن تعذيب أنفسنا في عبادته لغنى.

والقصد والإعتدال والوسطيَّة في سائر أنواع العبادات هي الأمر المحمود.

٢. قصة أبو إسرائيل[١] ﷺ

ومن الأمثلة التي وردت عن السلف، وخير القرون ما ورد في الحديث الذي رواه البخاري[٢] قال حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا وهيب ثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال: بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي ﷺ " مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه " واللفظ هنا للبخاري. وفي رواية أخري " إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني..."

---

(١) أبو إسرائيل: الأنصاري العامري وقيل اسمه يسر، أنظر " الإصابة " (٦/٤). رواه البخاري رقم "٦٧٠٤"، والطحاوى في مشكل الآثار (٤٤/٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٦/١١)، وأبو داود (٥٩٩/٣)، وابن ماجه (٦٩٠/١)، ولم يسم الناذر عند ابن ماجه، أيضاً أنظر كتاب المغني (٥/٩) "كتاب النذور " لابن قدامه المقدسي. ط " مكتبة ابن تيمية. تحقيق الشيخ / مُحَمَّد رشيد رضا د/ مُحَمَّد خليل هراس.

فهذا الرجل نذر أن يقوم في حر الشمس، ولا يقعد، ولا يتكلم، ولا يستظل، وأن يصوم، وهذه مبالغة في تعذيب النفس البشرية فنهاه النبي ﷺ عن هذا المسلك وأمره أن يتكلم، وأن يقعد وأن يستظل وأن يتم صومه؛ فالله لم يأمرنا بتعذيب أنفسنا ونحن نعبده لكي يرضى عنا . جل شأنه . وبالتالي فالشريعة جاءت على منهج الوسطيَّة في شتَّى مناحيها ونبذت كل مظاهر الغلو في الدين، ومظاهر التشدد، والتنطع فما يفعله الرهبان من تعذيب أنفسهم بحجة تطهيرها مرفوض في شريعة المسلمين السمحة.

٣. قصة الحولاء بنت تويت رضي الله عنها زوجة الصحابي الجليل عثمان بن مظعون رضي الله عنه

روى البخاري ومسلم[١] في صحيحيهما قال مسلم عن ابن شهاب الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن الحولاء بنت تويت بن حبيب بن عبد العزيز مرَّت بها، وعندها رسول الله ﷺ فقالت: هذه الحولاء بنت تويت، وزعموا أنها لا تنام الليل فقال رسول الله ﷺ "لا تنام الليل!! خذوا من العمل ما تطيقون فو الله لا يسأم الله حتى تسأموا " وهذه الرواية لمسلم.

وقد رواها البخاري ولم يصرح باسم المرأة إنَّما قال " امرأة من بني أسد " ورواية البخاري عن عبد الله بن مسلمة عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت عندي امرأة من بني أسد فدخل على رسول الله ﷺ فقال " من هذه؟" قلت: فلانة لا تنام الليل تذكر من صلاتها فقال

" مه، عليكم ما تطيقون من الأعمال فإن الله لا يمل حتى تملوا".

---

(١) رواه البخاري (٢٦/٣)، في كتاب الإيمان (١٠١/١) فتح الباري. وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين (٥٤٢/١)، والنسائي (٢١٨/٣) ومالك في الموطأ (٣٦٠/١) كما أخرجه مسلم أيضاً في باب: فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (٦٠/٣ نووي) الحديث رقم (٧٨٥، ٢٢٠، ٢٢١).

و الحولاء ﷺ هي من بني أسد، زوجة عثمان بن مظعون ﷺ الذي سيرد ذكره بعد قليل وأنَّه أراد الإختصاء كي ينقطع للتبتل والعبادة ورده رسول الله ﷺ وأنكر عليه إنكاراً شديداً وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

قال النووي [1] أراد بقوله ﷺ لا تنام الليل: الإنكار عليها وكراهة فعلها وتشديدها على نفسها، ويوضحه ما في موطأ مالك[2] .

قال في هذا الحديث " وكره ذلك حين عرفت الكراهية في وجهه " وفي هذا دليل لمذهبنا . أي مذهب جماعة أو الأكثرين أنَّ صلاة جميع الليل مكروهة، وعن جماعة من السلف أنَّه لا بأس به، وهو رواية عن مالك إذا لم ينم عن الصبح أي: صلاة الصبح. ا. هـ.

٤. قصة المرأة التي نذرت أن تحج ماشية

عن أنس ﷺ قال " نذرت امرأة أن تمشى إلى بيت الله الحرام فسئل نبي الله ﷺ عن ذلك فقال

" إن الله لغني عن مشيها مروها فلتركب ". قال الترمذي هذا حديث صحيح [3].

وفي حديث آخر روي عقبة بن عامر أن أخته نذرت أن تمشى إلى بيت الله الحرام فسئل رسول الله

ﷺ عن ذلك فقال " مروها فلتركب ولتكفر عن يمينها " والحديث صحيح أخرجه أبو داود.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/٦/٣).

(٢) موطأ مالك (٣٦٠/١).

(٣) المغنى لابن قدامه (٥/٩). كتاب النذور.

٥. قصة الرجل الذي نذر أن يحج ماشياً وهو ضعيف

وفي الصحيحين عن أنس أن النبي ﷺ رأى رجلاً يهادي بين اثنين فسأل عنه فقالوا: نذر أن يحج ماشياً فقال" إن الله لغني عن تعذيب هذا نفسه مروه فليركب " متفق عليه [١]

٦. قصَّة عبد الله بن عمرو بن العاص[٢] رضي الله عنهما

وفي هذه القصة الجليلة التي سوف نرويها بجميع طرقها . إنَّ شاء الله .كما جاءت في الصحيحين لنوضح أهمية منهج الوسطية وخطورة التشديد على النفس والغلو والتنطع.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٨/٤) عن أنس رضي الله عنه، وأخرجه في الإيمان والنذور (٥٨٥/١١)، وأخرجه مسلم في النذور (١٢٦٤/٣)، وأبو داود في الإيمان والنذور (٦٠٠/٣)، والترمذي (١١١/٤)، والنسائي (٣٠/٧)، وأحمد في المسند (١١٤/٣، ١٠٦، ١٨٣، ٢٧١).

(٢) رواه البخاري (٢٢٤/٤)، ومسلم في الصوم (٨١٢/٢-٨١٨) وأبو داود في الصوم (٨٢١/٢)، والنسائي في الصوم

(٢٠٨/٤-٢١٥)، وابن ماجه في الصوم (٥٤٦/١)، وأحمد في مسند عبد الله بن عمرو(٢) وأكثر في ذكر طرقه. والطيالسي في المسند (٢٩٨،٣٠١)، والطحاوى في مشكل الآثار (١٠٠/٢)، والحميدى في مسنده (٢٦٩/٢)، والأصفهاني في الحلية (٢٧٩/٣) كلهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

روى مسلم في صحيحه[1] عن أبي مُحَمَّد عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أخبر النبي ﷺ أني أقول: لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت، فقال رسول الله ﷺ " أنت الذي تقول ذلك؟"

فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

قال " فإنك لا تستطيع ذلك؛ فصم وأفطر، ونم وقم وصُم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر ".

قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك.

قال " فصم يوماً وأفطر يوماً ".

قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك.

فقال رسول الله ﷺ " لا أفضل من ذلك ".

ولأن أكون ـ رأي عبد الله بن عمرو ـ قبلت الثلاثة أيام التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى من أهلي ومالي.

إنَّ لبدنك عليك حقاً

وفي رواية أخري توضح لنا أسباب الإقتصاد والوسطيَّة وعدم الغلو في العبادة.

قال " ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟"

قلت: بلي يا رسول الله.

قال " فلا تفعل صم وأفطر، ونم وقم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لزورك[2] عليك حقاً، بحسبك أن تصوم في كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر[1] ".

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي الحديث رقم (١١٥٩)، والحديث بجميع طرقه ورواياته مروي في مسلم، وسوف نلتزم بما جاء فيه.

(٢) زورك: أي زائريك وضيوفك.

يقول عبد الله: فشددت فشدد على.

قلت: يا رسول الله إني أجد قوة.

قال " صم صيام نبي الله داود ولا تزد عليه ".

قلت: وما كان صيام داود؟.

قال " نصف الدهر ".

فكان عبد الله يقول بعدما كبر: ياليتني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من شدَّد شُدد عليه.

يتضح لنا من هذه الرواية للحديث أنَّ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ذكر ندمه على عدم أخذه بالرخصة بعدما كبر سنه وضعفت قواه عن الأخذ بالعزيمة واعترف خطئه بأنَّه شدد على نفسه، فشُدد عليه، والعبرة هنا ما حدث لبني إسرائيل " اليهود " من تعنتهم وتشديدهم على أنفسهم فشدد الله عليهم.

عبد الله يشدد على نفسه في قراءة القرآن.

وفي رواية أخري لهذا الحديث الجليل[٢]: " ألم أخبر أنك تصوم الدهر، وتقرأ القرآن كل ليلة؟ "

---

(١) الدهر الحول أو السنة الواحدة.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٣٦/٨/٤) حديث رقم (١١٥٩). كما رواه أبو داود (١٣٩٤) والترمذي (٢٩٤٩) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (١٣٤٧)، وأحمد في المسند (١٦٤/٢، ١٩٥)، وابن أبي شيبة (٥٠٠/٢)، والدرامي (٣٥٠/١)، وابن حبان ٦٨/٠٢) من طرق عن قتادة عن يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

فقلت: بلى يا رسول الله، ولم أرد بذلك إلا الخير.
قال " فصم صوم نبي الله داود، فإنَّه كان أعبد الناس، واقرأ القرآن في كل شهر".
قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك!.
قال " فاقرأه في كل عشرين ".
قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك!
قال " فاقرأه في كل عشرة ".
قلت: يا نبي الله إنّي أطيق أفضل من ذلك!.
قال " فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك ".
وفي زيادات وروايات ليست في مسلم وهي صحيحة أيضاً.
قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك!.
قال " فاقرأه في كل ثلاث مره. لا يفقه القرآن من قرأ في أقل من ثلاث ".
فشددت فشدد على، وقال لي النبي ﷺ" إنك لا تدري لعلك يطول بك العمر!"
قال: فصرت إلى الذي قال لي النبي ﷺ.
فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ.

إنَّ لولدك عليك حقاً

وفي رواية أخرى رواها مسلم أيضاً " وإن لولدك عليك حقاً " وفي رواية " أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفر إذا لاقي "

وجاء في هذه الروايات أن النبي ﷺ قال لعبد الله " لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث".

شكوى زوجة عبد الله بن عمرو لانصرافه عنها

وفي رواية قال أنكحني أبي[1] امرأة ذات حسب، وكان يتعاهد كنته[2] . أي امرأة ولده . فيسألها عن بعلها، فتقول له: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشاً ولم يفتش لنا كنفاً منذ آتيناه[3] فلما طال ذلك عليه ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال " ألقني به " فلقيته بعد ذلك فقال " كيف تصوم؟". قلت: كل يوم. قال " وكيف تختم؟". قلت كل ليلة، وذكر نحو ما سبق، وكان يقرأ علي بعض أهله السبع يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر من النهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى أي عدها وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئاً فارق عليه النبي ﷺ [4].

وكل الروايات السابقة في الصحيحين معظمها والقليل منها في أحدهما دون الأخر أنظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٤/٨/٣٤-٤١).

---

(١) أي: زوجني.

(٢) امرأة ابنه.

(٣) وهذه كناية لطيفة عن انصرافه عن وطئها، وهو حق شرعي لها؛ ولكن المرأة المؤمنة تلتزم بآداب الإسلام الرفيعة في حديثها وتورى في الكلام حياءاً وخجلاً فأين نحن من هذه الأخلاق الآن.

(٤) رواه مسلم (٤/٨/٣٤-٤١) " مسلم بشرح النووي ".

قصة كعب بن سور وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما

قال ابن قدامه الحنبلي[1] (توفي سنة ٦٢٠ هـ)

بعد أن ساق الحديث السابق قصة عبد الله بن عمرو وزوجته وقال: إنَّ الحديث متفق عليه فأخبر أن للمرأة عليه حقاً وقد اشتهرت قصة كعب بن سور رواهما عمر بن شعبة في كتاب " قضاة البصرة " من وجوه إحداهن: عن الشعبي أنَّ كعب بن سور كان جالساً عند عمر بن الخطاب فجاءت امرأة فقالت يأمير المؤمنين: ما رأيت رجلاً قط أفضل من زوجي والله إنَّه ليبيت ليله قائماً ويظل نهاره صائماً فاستغفر لها وأثنى عليها واستحت المرأة وقامت راجعة فقال كعب: يأمير المؤمنين هلاَّ أعديت المرأة على زوجها؟ فقال لكعب: إقض بينهما فإنَّك فهمت من أمرها ما لم أفهم! قال: فإني أري كأنَّها امرأة عليها ثلاث نسوة هي رابعتهن فأقضي بثلاثة أيام ولياليهن يتعبد فيهن ولها يوم وليلة، فقال عمر: والله ما رأيك الأول بأعجب إلى من الآخر إذهب فأنت قاض على أهل البصرة، وفي رواية: فقال عمر: نعم القاضي أنت!.

وهذه قضية انتشرت فلم تنكر فكانت إجماعاً. ا. هـ.

---

(١) المغني (٢٩/٧) " آداب الجماع " لابن قدامه المقدسي.

٧. قصّة حنظلة بن الربيع الأسيدي الكاتب[١]

روي مسلم[٢] عن أبي حنظلة بن الربيع الأسيدي (الكاتب) أحد كتاب أبو بكر ﷺ قال لقيني أبو بكر ﷺ فقال: كيف أنت ياحنظلة؟ قلت: نافق حنظلة.

قال: سبحان الله ما تقول؟.

قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا الجنة والنار كأنَّا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله

ﷺ عافسنا الأزواج والضيعات نسينا كثيراً. قال: أبو بكر ﷺ، فوالله لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ. فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله!

فقال رسول الله ﷺ: " وما ذاك؟ ".

قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنَّا رأي العين،

فقال رسول الله ﷺ:" والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن ياحنظلة ساعة، وساعة ثلاث مرات "

قال النووي[٣] والمقصود بقوله: عافسنا: عالجنا ولاعبنا. والضيعات: المعايش.

---

(١) هو حنظلة بن الربيع بن صيفي التميمي، صحابي، شهد القادسية ونزل الكوفة وتخلف عن علي يوم الجمل. يقال له " حنظلة الكاتب " مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان نحو سنة ٥٠هـ.

(٢) رواه مسلم حديث رقم (٢٧٥٠) من طرق ثلاثة. كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة.

(٣) رياض الصالحين (ص/٨٠) باب: الإقتصاد في العبادة.

قال النووي في شرحه على مسلم[1]

وأما قوله " نافق حنظلة، معناه: أنَّه خاف أنَّه منافق حيث كان يحصل له الخوف في مجلس

النبي ﷺ ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على طاعة الله " الآخرة "، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا، وأصل النفاق إظهار ما يكتم خلافه من الشر فخاف أن يكون ذلك نفاقاً فأعلمهم النبي ﷺ، أنَّه ليس بنفاق، وأنَّهم لا يكلفون الدوام على ذلك، ومعني ساعة وساعة أي: ساعة كذا، وساعة كذا.

رواية القصَّة في مسند أحمد

جاء في مسند أحمد[2] عن أبي هريرة قال: قلنا يا رسول الله، إنا إذا رأيناك رقَّت قلوبنا، وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد، قال: لو تكونون . أو قال . لو إنَّكم تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم، قال: قلنا يا رسول الله، حدثنا عن الجنَّة: ما بناؤها؟ قال لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه،

---

(١) (٥٨/٩). مرجع سابق.

(٢) مسند أحمد (٨٠٣٠/١٥)) تحقيق الشيخ: احمد شاكر.

كما أورده ابن حبان في صحيحة برقم (٢٦٢٠) موارد الظمآن وفي صحيح الترمذي (٢٥٢٦/٤) بلفظ مقارب.

ورمز له: جامع الأحاديث القدسية بالحسن (١١٥/٢) تحقيق د. حمزة النشرتي وآخرون.

ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب . عز وجل . وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين "

حنظلة يكشف القضيَّة

وفي رواية أخرى[1] لحديث حنظلة " كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا فذكر النار قال ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة.قال: فخرجت فلقيت أبا بكر فذكرت ذلك له. فقال: وأنا قد فعلت مثل ما تذكر فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله! نافق حنظلة.

فقال " مه ". فحدثته بالحديث فقال أبو بكر: وأنا قد فعلت مثل ما فعل فقال " ياحنظلة ساعة، وساعة ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر، لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في

الطرق ". ومعني مه: الإستفهام أي ما تقول، والهاء هنا هاء السكت.

قال النووي[2] ومعني مه: الإستفهام، ويحتمل أنها أي كلمة " مه " للكف والزجر والتعظيم لذلك

مفاهيم مغلوطة ساعة لربك.... وساعة لقلبك

ومن مفاهيم التفريط والبعد عن منهج الوسطيَّة، والجهل بشرائع الإسلام أن أناساً يقولون:" ساعة لربك....وساعة لقلبك " جرياً علي هذا الحديث ولكن بطريقة توافق أهوائهم وأمزجتهم إذ يصرفون أوقاتهم النفيسة في اللهو الفارغ، وفي المعاصي المحرمة،

---

(١) النووي بشرح مسلم (٩/٦٠).

(٢) نفس المرجع السابق (٩/٦٠).

فإذا ذكرت أحدهم بالله، والجنَّة والنَّار قال لك: ياأخي (ساعة لربك..وساعة لقلبك) فهذا استدلال فاسد وفهم منحرف والأحري بهم أن يقولوا ساعة لربك...وساعة لشيطانك.

فالواحد منهم يخرج إلي أماكن الفساد واللهو غير المباح جرياً وراء الشهوات وإشباعاً لنزوات عقولهم، والذي يشير إليه الحديث هو ساعة للعبادة والطاعة، وساعة لقضاء الحاجات وملاعبة الأولاد والزوجة وقضاء المعايش، كما أشار الحديث فالترويح عن النفس في حدود المباح أمر يحرص عليه الشرع ويمدحه أما صرفها علي المعاصي تحت زعم الترويح عن النفس فهو تفريط وجفاء وانحراف عن الشرع.

٨- قصة سلمان الفارسي وأبو الدرداء[١] رضي الله عنهما

روي البخاري وغيره[٢] عن أبي جحيفة . وهب بن عبد الله . رضي الله عنهما قال: آخى رسول الله ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة[١] فقال: ما شأنك؟

---

(١) هو عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الانصاري الخزرجي، أبو الدرداء، صحابي من الحكماء الفرسان القضاة، ولاه معاوية قضاء دمشق بأمر من امير المؤمنين عمر بن الخطاب، وهو أول قاضي بها، مات بالشام سنة ٣٢ هـ.

(٢) أخرجه البخاري في "كتاب الصوم " (٢٠٩/٤)، وفي أدب الصحيح (٥٣٤/١٠) والترمذي (٢٤١٣)، وابن خزيمة (٢١٤٤)، وأبو يعلي (٨٩٨)، وابن حبان (٣٢٠)، والدارقطني (١٧٦/٢)، والطبراني في " الكبير " (٢٨٥/٢٢)، والبيهقي (٢٧٦/٤)، وأبو نعيم في" الحلية " (١٨٨/١)كلهم عن أبي جحيفة.

وأخرجه ابن سعد في " الطبقات " (٨٥/٤)، وفيه زيادة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: " عويمر، سلمان أعلم منك "، وعويمر هو أبو الدرداء، ولكن اسناد هذه الزيادة منقطع.

قال: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا!

فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له كل فإني صائم. قال: ما أنا بأكل حتى تأكل، فأكل فلمَّا كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له: نم ونام، ثم ذهب يقوم فقال له: نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن: فصليا جميعاً، فقال له سلمان: إنَّ لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال:" صدق سلمان ".

جملة من فوائد حديث سلمان وأبي الدرداء

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني [٢] (ت سنة ٨٥٢ هـ) رحمه الله تعالى:.

وفي الحديث جملة فوائد منها:.

١- مشروعية المؤاخاة في الله.

٢- زيارة الإخوان فيه والمبيت عندهم.

٣ – جواز مخاطبة الأجنبية للحاجة.

٤ – النصح للمسلم.

٥- مشروعية تزين المرأة لزوجها وثبات حق المرأة على الزوج في حسن العشرة.

٦ – جواز النهي عن المستحبات إذا خشي أن يفضي ذلك إلى السآمة والملل وتفويت الحقوق الواجبة أو المندوبة الراجح فعلها.

٧ – وفيه جواز الفطر من صيام التطوع.

---

(١) أي: في ثياب المنزل.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٤/١٨٤-١٨٥) ط. الريان . القاهرة.

٩- قصة الرهط[١]

في هذا الحديث الفخم الجليل القدر الذي نسوقه لكي نضع النقاط على الحروف ونوضح عظمة هذا الدين وموافقته للفطرة الإنسانية وبيان أنَّ القصد والإعتدال هو الهدي النبوي الصحيح وما سواه انسلاخ عن موافقة السنة، وانحراف عن الفطرة يرفضه الدين وتأباه الشريعة.

عن أنس ﷺ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها[٢]، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ " قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر "

قال أحدهم: أما أنا فأصلي أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر، ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال:" أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني " متفق عليه[٣]، وقوله صلى الله عليه وسلم " فمن رغب عن سنتي فليس مني " ومعناه: من تركها إعراضاً عنها غير معتقد لها على ما هي عليه، وأمَّا من ترك النكاح على الصفة التي يستحب له تركه كما سبق أو ترك النوم على الفراش لعجزه عنه أو لاشتغاله بعبادة مأذون فيها أو نحو ذلك فلا يتناول هذا الذم والنهي. ا. هـ.

---

(١) الرهط: جماعة من الناس تبلغ من (٣- ٩) أفراد.

(٢) أي عدوها قليلة، الحديث رواه البخاري ومسلم، وهو عند البخاري (١٠٤/٩) ومسلم برقم (١٤٠١)، (١٠٢٠/٢)، والنسائي (٦٠/٦) في النكاح وأحمد في المسند.

(٣) النووي بشرح مسلم (١٤٩/٥).

نزول الوحي بشأن الرهط

وهذا الرهط من أصحاب النبي ﷺ قد أنزل فيهم قرآناً وهو قوله تعالى " *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا* أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ " (المائدة /٨٧).

قال الحافظ ابن كثير الدمشقي[١]

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نزلت هذه الآية في رهط من أصحاب النبي ﷺ قالوا: تقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا ونسيح في الأرض كما يفعل الرهبان فبلغ ذلك النبي ﷺ فأرسل إليهم فذكر لهم ذلك فقالوا: نعم. فقال النبي ﷺ... الحديث[٢]

قال الإمام الطبري [٣] (ت سنة ٣١٠ هـ) رحمه الله تعالى:

"هذا استدعاء إلى التقوى بألطف الوجوه، وتقديره: أيها المؤمنون بالله لا تضيعوا إيمانكم بالتقصير في التقوى، فتكون عليكم الحسرة العظمي، واتقوا في تحريم ما أحل الله لكم، وفي جميع معاصيه من به تؤمنون، وهو الله تعالى وفي هاتين الآيتين دلالة على كراهية التخلي والتفرد والتوحش والخروج عما عليه الجمهور من التأهل " أي التزوج " وطلب الولد، وعمارة الأرض". ا. هـ.

والآية الثانية المشار غليها في كلام الطبري هي الآية (٨٨) من سورة المائدة " *وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ* اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ "(المائدة/٨٨).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/٨٢- ٨٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم صاحب التفسير كما رواه ابن مردويه عن طريق العوفي عن ابن عباس نحو ذلك.

(٣) مجمع البيان في تفسيرآي القرآن. تفسير سورة المائدة الآية (٨٧) ط. دار المعارف تحقيق: محمود شاكر.

النهي عن التبتل والإنقطاع للعبادة

شرح معنى التبتل:.

قال النووي رحمه الله تعالى التبتل: هو الإنقطاع عن النساء وترك النكاح انقطاعاً إلى عبادة الله، وأصل التبتل القطع، ومنه مريم البتول وفاطمة البتول لإنقطاعها عن نساء زمانها ديناً وفضلاً ورغبة في الآخرة، ومنه " صدقة تبلة " أي: منقطعة عن تصرف مالكها.

قال الطبري: التبتل هو ترك لذات الدنيا وشهواتها والإنقطاع إلى الله تعالى بالتفرع لعبادته. مسلم بشرح النووي (١٤٨/٥).

النهي عن التبتل موافق للفطرة السليمة

من خلال ما ذكرناه آنفاً، وكثرة وتعدد أسباب نزول الآية الكريمة وملخص ذلك أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ ورد في بعض الروايات أنهم عشرة أشخاص ومنهم:.

عثمان بن مظعون

عبد الله بن عمرو

علي بن أبي طالب

عبد الله بن مسعود

المقداد بن الأسود

سالماً مولي أبي حذيفة

تبتلوا فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء، ولبسوا المسوح، وحرموا طيبات الطعام واللباس إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل وهموا بالإختصاء[١]

---

(١) الإختصاء: هو استلال الخصيتين، وكانت هذه العادة جارية عند ملوك الترك يخصون الرجال القائمين علي خدمة حريم الملوك ونهى الإسلام عن ذلك، وقياساً على ذلك يحرم علي المرأة

وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار فنزلت هذه الآية " يا *أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا* أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ *لاَ* يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ " (المائدة /٨٧).

قال الحافظ ابن كثير(١)

لا تسيروا بغير سُنَّة المسلمين يريد ما حرموا من النساء والطعام واللباس وما أجمعوا من قيام الليل، وصيام النهار، وما هموا به من الإختصاء؛ فلمَّا نزلت فيهم بعث رسول الله ﷺ فقال:" إنَّ لأنفسكم حقاً ولأعينكم حقاً صوموا وأفطروا وصلوا وناموا فليس منا من ترك سنتنا " فقالوا: اللهم سلمنا واتبعنا ما أنزلت ا.هـ

النبي ﷺ يرد على عثمان بن مظعون التبتل

قال البخاري رحمه الله(٢): ثنا أحمد بن يونس ثنا إبراهيم بن سعد أخبرنا ابن شهاب سمع سعيد بن المسيب يقول سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: "ردَّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا ".

وفي الحديث عن سمرة:" أن النبي ﷺ نهى عن التبتل"(٣).

إجراء عملية جراحية لإزالة الرحم وقطع الإنجاب نهائياً إلا لضرورة شرعية كخطورة الحمل علي حياتها. والخصي: هو شق الأنثيين وانتزاع البيضتين. إحكام الإحكام (٤: ٢٧).

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٢) قال الحافظ: وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين مرسلة ولها شاهد في الصحيحين من رواية عائشة أم المؤمنين كما بينا ولله الحمد والمنة.

(٢) البخاري (٩ /١١٧)، مسلم في النكاح (٢ /١٠٢٠)، الترمذي في النكاح (٣ /٣٨٥) وقال حديث حسن صحيح، والنسائي (٥٨/٦)، وابن ماجه (٥٩٣/١)، وأبو داود (٢ /٠١) من حديث عائشة.

(٣) رواه الترمذي في السنن وقال: حسن غريب (٢٧٣/٢)، والنسائي (٥٩/٦)، وابن ماجه (٥٩٣/١).

وعن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: " نهى رسول الله ﷺ عن التبتل"[1].

وفي رواية أبو داود عن عائشة أن النبي ﷺ بعث إلى عثمان بن مظعون فجاءه فقال : " ياعثمان أرغبت عن سنتي؟" قال: لا والله يا رسول الله ولكن سنتك أطلب.

قال:" فإني أنام وأصلي وأصوم وأفطر وأنكح النساء فاتق الله يا عثمان فإنَّ لأهلك عليك حقاً وإنَّ لضيفك عليك حقاً وإن لنفسك عليك حقاً فصم وأفطر وصل ونم ".

ووجه الاستدلال واضح من الحديث وهو أنَّ الإختصاء تشدد وغلو وابتعاد عن سنة رسول الله

ﷺ يطهر صاحبه من خلال زهده في النساء ورغبته في الآخرة ولن ينال ذلك إلا باتباع الكتاب والسنة فحرَّم عليه الرسول ذلك لما فيه من الضرر والله سبحانه يقول[2] " يا *أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا* أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ *لاَ* يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ " (المائدة /٨٧).

عودة إلى قصة الحولاء بنت تويت ﵂

فهذه المرأة المؤمنة لما كان زوجها الصحابي الجليل عثمان بن مظعون ﵁ قد إنقطع للعبادة وأهملها في الفراش فجاءت هذه المرأة إلى أم المؤمنين عائشة ﵂ فقالت لها عائشة ومن عندها من أزواج النبي

ﷺ ما بالك ياحولاء متغيرة اللون؟ لا تمتشطين ولا تطيبين؟.

---

(١) رواه الترمذي في السنن وصححه (٢/٢٧٤)، والنسائي (٦/٥٨)، والدرامي (٢/١٣٣).

(٢) قراع الأسنة في نفي التطرف والشذوذ عن أهل السنة(ص ١٢- ١٣) عبد العزيز اليمني.

فقال: وكيف أمتشط وأتطيب وما وقع على زوجي وما رفع عني ثوباً [1] منذ كذا وكذا قالت: فجعلن يضحكن من كلامها، فدخل رسول الله ﷺ وهن يضحكن؛ فقال:" ما يضحككن؟".

قال: إنَّ الحولاء سألتها عن أمرها فقالت ما رفع عني زوجي ثوباً منذ كذا وكذا، فأرسل إليه فدعاه فقال:" مالك يا عثمان؟" قال: إنِّي تركته لله لكي أتخلى للعبادة وقصَّ عليه أمره، وكان عثمان قد أراد أن يجبَّ [2] نفسه.

فقال رسول الله ﷺ:" أقسمت عليك إلا رجعت فواقعت أهلك! ".

فقال: يا رسول الله إني صائم! فقال " أفطر ". قال: فأفطر وأتى أهله، فرجعت الحولاء إلى عائشة ﷺ وقد امتشطت واكتحلت وتطيبت، فضحكت عائشة وقالت ما لك يا حولاء؟ فقالت: إنَّه أتاها أمس.

وقال رسول الله ﷺ:" ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم ألا إني أنام وأقوم وأفطر وأصوم وأنكح النساء، فمن رغب عني فليس مني.... فنزلت الآية " *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا* أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ *لاَ* يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ " (المائدة /٨٧).

يقول لعثمان: لا تجب نفسك فإن هذا هو الإعتداء، وأمرهم أن يكفروا عن أيمانهم ا.هـ.

والحديث رواه ابن جرير الطبري في تفسيره وتقدم تخريجه.

---

(١) تكني المرأة الصالحة عن هجرة الصحابي الجليل زوجها: عثمان بن مظعون لها في الفراش لإنشغاله عنها بالتبتل والعبادة.

(٢) يجب:أي يقطع عضو الذكورة؛ وقولهم: رجل مجبوب أي لا ذكر له وهو محرم شرعاً، وقياساً عليه يحرم تعاطي المرأة وسيلة لقطع الإنجاب نهائياً؛ إلا إذا كان في ذلك خطراً علي حياتها فيجوز للضرورة.

من مفاسد الحضارة الحديثة

ومن ذلك يتضح لنا أن التجبية حرام؛ وذلك لأنها تغيير لخلق الله عز وجل وإعراض عن فطرة الله التي فطر الناس عليها، وللأسف هناك أشباه ذكور يقومون بعمليات تغيير خلق الله إلى الجنس الآخر من خلال جراحة لإزالة عضو الذكورة أو استلال الخصيتين " الإخصاء "، والتشبه بالنساء ووضع المساحيق والأصباغ، وإن تعجب فعجب من صُناع الحضارة الأمريكية الذين يحاولون إصدار قانون وتشريع في الكونجرس (مجلس الشيوخ) الأمريكي لحماية ما سمي بـ " حقوق الشواذ " والدفاع عن زواج الرجل بالرجل ـ عياذا بالله ـ، والمرأة بالمرأة، وتعميم ذلك في ظل العولمة " الأمركة"، والأخطر من ذلك أن هؤلاء الجاهلين المعاندين يحاولون فرض ذلك على العالم الإسلامي والضغط على البلدان الإسلامية في ظل النظام العالمي الأمريكي الجديد، وينبغي على الدول الإسلامية، والمخلصين من أبناءها الدفاع عن قيم الحضارة الإسلامية وإلا لو سادت مثل هذه القيم السدوميَّة الجاهلية الفاجرة لحدث فناء للجنس البشري في ظل هذه القيادة التي تنتمي إلى حضارة قوم لوط فلعنُة الله على الظالمين.

شرع الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه

فقول اله تعالى " وَلاَ تَعْتَدُواْ " (المائدة /٨٧) أي: ولا تبالغوا في التطبيق على أنفسكم بتحريم المباحات عليكم كما قاله من قاله من السلف، ويحتمل أن يكون المراد لا تحرموا الحلال فلا تعتدوا في تناول الحلال بل خذوا منه بقدر كفايتكم وحاجتكم ولا تجاوزا الحد فيه كما قال تعالى:

"وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا " (الفرقان: ٦٧).

لا يجوز تحريم ما أحل الله تعالى

قال الطبري [1]لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شيء مما أحله الله لعبادة المؤمنين على نفسه من طيبات المطاعم والملابس والمناكح إذا خاف على نفسه العنت والمشقة، ولذلك رد النبي

ﷺ التبتل عن عثمان بن مظعون ﷺ، فثبت أنَّه لا فضل في ترك شيء مما أحله الله لعبادة، وأنَّ الفضل والبر إنَّما هو في فعل ما ندب عباده إليه، وعمل به رسول الله ﷺ، وسنه لأمته، واتبعه على مناهجه الأمة الراشدون، إذا كان خير الهدي هدي نبينا مُحَمَّد ﷺ فإذا كان كذلك تبين خطأ من أثر أكل الخشن من الطعام، وترك اللحم وغيره حذراً من عارض الحاجة إلى النساء.... فإن ظن ظان أنَّ الخير في غير الذي قلنا لما في لباس الخشن وأكله من المشقة، وصرف ما فضل بينهما من القيمة إلى أهل الحاجة، فقد ظن خطأ، وذلك أن الأولى بالإنسان صلاح نفسه وعونه لها على طاعة ربها، ولا شيء آخر للجسم من المطاعم الرديئة لأنَّها مفسدة لعقلة، ومضعفة لأدواته التي جعلها الله سبباً إلى طاعته ا.هـ.

الورع الكاذب

جاء رجل إلى الحسن البصري فقال: إن لي جاراً لا يأكل الفالوذج[2] فقال: ولما؟ قال:يقول لايؤدي شكره، فقال الحسن: أفيشرب الماء البارد؟ قال: نعم! فقال: إنَّ جارك جاهل فإن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذج!.

---

(١) مجمع البيان للطبري. تفسير الآية (٨٧) سورة المائدة.

(٢) نوع من الحلوى، ويصنع من الدقيق الفاخر والعسل الأبيض والسمن البلدي، والسكر ويضاف عليه المكسرات والزبيب، وكان من أطايب الحلوي في طعام هذه الأزمنة.

وآخر يحرم على نفسه اللحم

ومن أسباب نزول الآية الكريمة[1] " يا *أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا* أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ " (المائدة /٨٧).

مارواه ابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً أتي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني إذا أكلت من هذا اللحم انتشرت[2] إلى النساء وإنّي حرَّمتُ على نفسي اللحم. فنزلت " يا *أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا* أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ".

وهذا الحديث رواه الترمذي، وابن جرير جميعاً عن عمرو بن علي الفلاس عن أبي عاصم النبيل به وقال: حسن غريب، وروي من وجه آخر مرسلاً وروي مرفوعاً عن ابن عباس.

إباحة الطيب من المطاعم

قال أبو الفتح الأبشيهي[3] (ت سنة ٨٥٠هـ) رحمة الله تعالى

أما إباحة الطيب من المطاعم فقد قال تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ " (البقرة / ١٧٢).

وقال تعالى " يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ " (لمائدة / ٤).

وقال تعالى "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (الأعراف / ٣٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٨٣).

(٢) الإنتشار: هو الإنعاظ وشدة الشبق والشهوة إلي النساء.

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف (١ / ٣٠٥).

وقال رسول الله ﷺ "محرم الحلال كمحلل الحرام "[1]

وقال عليه الصلاة والسلام " إنَّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده في مأكله ومشربه "[2]

وكان الحسن ﷺ يقول:" ليس اتخاذ الطعام سرف "، وسئل الفضيل عمن يترك الطيبات من اللحم والخبيص " نوع من الحلوى" للزهد، فقال: ما الزهد وأكل الخبيص؟ ليتك تأكل وتتقي الله إنَّ الله لا يكره أن تأكل الحلال إذا إتقيت الحرام، أنظر كيف برك بوالديك وصلتك للرحم وكيف عطفك على الجار وكيف رحمتك للمسلمين وكيف كظمك للغيظ وكيف عفوك عمن ظلمك وكيف إحسانك إلى من أساء إليك، وكيف صبرك واحتمالك للأذى، أنت إلى أحكام هذا أحوج من ترك الخبيص.ا.هـ.

إنَّ الغلو والتنطع والتشديد على النفس عاقبته وخيمة ففضلاً عن تضييع حقوق الزوجة والأبناء، وحقوق النفس البشرية ذاتها ففيه أيضاً عواقب ذات ضرر مباشر في أمر العبادة نفسه. وإليك ـ أيها القاريء. هذا المثال الذي يتضح به المقال:.

النهي عن الصلاة عند مغالبة النعاس

عن أم المؤمنين عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلَّى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه "[3].

ومعناه أن الله ـ جل شأنه ـ لا يحمل النفس البشرية ما لا تطيق

" أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ "(الملك /١٤).

---

(١) رواه أصحاب السنن.

(٢) مصداقا لقوله تعالى " وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ " (الضحي /١١).

(٣) متفق عليه.

١٠ . قصة معاذ بن جبل ﷺ

روى البخاري ومسلم وغيرهما[١] قال: عن جابر ﷺ قال: كان معاذ يصلي مع النبي ﷺ فيؤم قومه، فصلي ليلة مع النبي ﷺ العشاء ثم أتي قومه فأمهم فافتتح بسورة البقرة، فانحرف رجل فسلم ثمَّ صلَّى وحده وانصرف فقالوا له: أنافقت؟ يافلان! قال: لا والله! ولآتين رسول الله ﷺ فلأخبرنه.

فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إنا أصحاب نواضح [٢] نعمل بالنهار وإن معاذاً صلَّى معك العشاء ثمَّ أتى فا فتتح بسورة البقرة فأقبل رسول الله ﷺ على معاذ فقال:" يا معاذ! أفتَّان أنت؟ اقرأ بكذا واقرأ بكذا ".

قال سفيان: فقلت لعمرو: إن أباالزبير حدثنا عن جابر أنه قال: " إقرأوا والشمس وضحاها،...والضحي والليل إذا يغشي، وسبح اسم ربك الأعلى ". فقال عمرو: نحو هذا.

قال النووي [٣] رحمه الله تعالى قوله ﷺ:" أفتَّان أنت يامعاذ " أي مُنفر عن الدين وصاد عنه، ففيه الإنكار على من ارتكب ما ينهي عنه وإن كان مكروهاً غير محرم، وفيه جواز الإكتفاء في التعزير بالكلام، وفيه الأمر بتخفيف الصلاة، والتعزير على إطالتها إذا لم يرض المأموم. ا.هـ. كتاب الصلاة في صحيحه باباً وقد عقد الإمام مسلم في سمَّاه باب: أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام.

---

(١) رواه البخاري (٢/ ١٩٢)، ومسلم (٣٣٩/١)، كتاب الصلاة . باب القراءة في العشاء رقم (٤٦٥)، وأبو داود (٥٠٢/١) باب:

في تخفيف الصلاة، والنسائي (٢/ ٩٧.٩٨).

(٢) هي الإبل التي يستقي عليها جمع"ناضح" وأراد إنا أصحاب عمل وتعب فلا تطول في الصلاة.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥٢/٢-١٥٣) من حاشية الشرح.

وقد ذكر فيه أربعة أحاديث رواها من عدة طرق بلغت ١٣ طريقاً كاملاً ونذكر منها:.

عن أبي مسعود الانصاري [١] قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال:"يا أيها الناس! إنَّ منكم منفرين فأيكم أم الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة ".

الرجل يطيل الصلاة إذا كان وحده فقط

وروي مثله [٢] عن أبي هريرة وذكر المريض وقال: " فإذا صلَّى وحده فليصل كيف شاء ".

وكان آخر عهده ﷺ ونصيحته إلى الصحابي الجليل عثمان بن أبي العاص " إذا أممت قوماً فأخف بهم الصلاة "[٣].

وفي رواية أخرى في السنن قال له:" أنت إمام قومك وأقدر القوم بأضعفهم " إسناده حسن وأصله في مسلم كما ذكرناه آنفاً.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥٤/٢) حديث رقم (٤٦٦) .

(٢) حديث رقم (٤٦٧) وأنظر: الحديث رقم (٤٦٨) .

(٣) الحديث اخرجه ابو داود والنسائي عن عثمان بن أبي العاص واللفظ هنا لمسلم.

التخفيف في الصلاة والنهي عن الإطالة

روي البخاري[1] في صحيحه:. جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال:" يا أيها الناس إنَّ منكم منفرين فأيكم أم الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة ".

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح[2].

قال ابن دقيق العيد: التطويل والتخفيف من الأمور الإضافية، فقد يكون الشيء خفيفاً بالنسبة إلى عادة، وقوم طويلاً بالنسبة لعادة آخرين.

قلت: أي الحافظ ابن حجر:" وأولى ما أخذ حد التخفيف من الحديث الذي أخرجه أبو داود والنسائي "عن عثمان بن أبي العاص أن النبي ﷺ قال له: أنت إمام قومك، وأقدر القوم بأضعفهم" إسناده حسن وأصله في مسلم " ا.هـ.

هدي الرحمة المهداة ﷺ ومعلم الشرائع

روي مسلم في الصحيح عن أنس ﷺ ان رسول الله ﷺ كان أخفَّ الناس صلاة في تمام، وفي الحديث الآخر من نفس الباب وهو مروي عن أنس أيضاً قال: كان رسول الله ﷺ يسمع بكاء الصبي مع أمه، وهو في الصلاة فيقرأ بالسورة الخفيفة أو بالسورة القصيرة،وفي شرح النووي نجد قول النووي[3] يذكر رواية أخري للحديث.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري: كتاب الأذان باب من شكا إمامه إذا طول (٧٠٤). ومسلم: كتاب الصلاة: باب القراءة في العشاء (٤٦٦)،(١٨٢) واللفظ له .كما مر. من حديثه أبي مسعود الأنصاري ﷺ.

(٢) فتح الباري (٣٣٣/٢)، أنظر الكلام علي هذه المسالة في مبحث نفيس لابن القيم في كتاب، الصلاة وحكم تاركها (ص/١٠٧-١٢٠).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي حديث رقم "٤٦٩" كتاب الصلاة: باب أمر الائمة بتخفيف

التخفيف بالصلاة من أجل بكاء الصبي

أنَّ النبي ﷺ قال:" إني لأدخل في الصلاة أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأخفف من شدة وجد أمه به"(١).

والوجد: يطلق على الحزن، وعلى الحب أيضا كلاهما سائغ هنا.

والحزن: أظهر أي من حزنها واشتغال قلبها به، وفيه دليل على الرفق بالمأمومين وسائر الأتباع ومراعاة مصلحتهم، وأن لا يدخل عليهم ما يشق عليهم، وإن كان يسيراً غير ضرورة(٢).

فالرسول ﷺ يشفق على لهفة الأم علي صغيرها وهو يبكي وأمه تصلي بأبي أنت وأمي يا رسول الله صدق من سماك الرؤف الرحيم.

ولله درُّ أمير الشعراء إذ يقول:.

وإذا رحمت فأنت أم أو أب هذان في الدنيا هما الرحماء

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة وقدوة طيبة، فهل نحن أشد تقي وورعاً من رسول الله ﷺ أو أشد إيماناً حاشا وكلا.

فالقصد.. القصد.. أيها المؤمنون.

الصلاة في تمام.

(١) حديث رقم "٤٧٠" (١٥٦/٤) صحيح مسلم بشرح النووي.

(٢) ومن فوائد الحديث أيضاً: قال النووي (١٥٦/٨/٢) صحيح مسلم.

. جواز صلاة النساء مع الرجال في المسجد وأن الصبي يجوز إدخاله المسجد وإن كان الاولي تنزيه المسجد عمن لا يؤمن منه حدث.

ولله در أبي سليمان الخطابي [1] (ت سنة٣٨٨هـ) رحمه الله تعالى

تسامح ولا تستوف حقك كله فلم يستوف قط كريم

ولاتغلُ في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وفي الحديث عن أبي عبد الله جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال:" كنت أصلي مع النبي ﷺ فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً " رواه مسلم في الصحيح.

(١) العزلة (ص/١٢٦) لأبي سليمان حمد بن مُحَمَّد الخطابي البستي. تحقيق: عادل عبد الموجود. ط. سنة ١٩٨٧م.

الفصل الثالث
الوسطية في إقامة الحدود الشرعية

قال العلاَّمة السبكي [١] في حديثه عن وظائف الوالي [٢]

" ومن واجبه الفحص عن المنكرات من الخمر والحشيش، وليس له أن يتجسس على الناس، ويبحث عما هم فيه ولا كبس[٣]بيوتهم بمجرد القال والقيل، بل عليه أن يبعث سراً رجلاً، مأموناً ينهى عن المنكر بقدر ما نهى الله، وينتقد السبكي سياسة الولاة في عصره وما يفعله الولاه من إخراج العوام من بيوتهم وإرعابهم وإزعاجهم وهيتكتهم[٤] كل ذلك من تعدى حدود الله أو ظلم وينصح

الوالي إذا أوقع عقوبة بمذنب كالجلد مثلاً، أن يكون السوط معتدلاً بين القضيب والعصا،

وألا يكون السوط رطباً ولا يابساً، على أن يفرق السياط على الأعضاء، وعلى أن يتقي[٥] الوجه "

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية [١]: أنَّ الجلد الذي جاءت به الشريعة هو الجلد المعتدل، بالسوط الوسط؛ فإن خيار الأمور أوساطها.

---

(١) معيد النعم (٥٤-٥٧) بتصرف للسبكي.

(٢) كان يطلق لفظ الوالي علي نائب السلطان، لكنه صار يطلق ـ فيما بعد ـ علي من إليه أمر أهل الجرائم من اللصوص والمجرمين وغيرهم، وربما عرف باسم " والي الحرب" وأشبه ما يكون اليوم وظيفة " وزير الداخلية ".

(٣) كبس: مداهمة ومهاجمة.

(٤) هيتكتهم: هتك عوراتهم.

(٥) يتقي: يتجنب.

قال علي ﷺ:

" ضرب بين ضربين، وسوط بين سوطين، وألا يكون الجلد بالعصا ولا بالمقارع "

كما عليه ألا يقيم حد الخمر في السكر بل يؤخره حتي يفيق، ومن الولاه من يأمر بالجلد ويشرع في الصلاة ويطيل فيها فيظل المضروب تحت العصا ما دام الوالي في الصلاة، ومنهم من يهجم بخيله ورجله على من يأتون منكراً، ويهتك سترهم ويفرض عليهم غرامات يسميها الولاة " التأديب والجنايات" وكل هذا ما لا يحمد من الولاة. ا.هـ.

مثال من الإفراط المذموم في العقوبة

ومن الإفراط المذموم في العقوبة المخالف للشريعة الإسلامية أن خايربك[٢] الوالي على مصر في زمن الأتراك العثمانيين . زاد على عقوبة قطع اليد والرجل، بأن كان يأمر بتعليق يد السارق المقطوعة في عنقه ويشهره في القاهرة، وقد طبَّق هذه العقوبة في أحد العوام وقد ضبط يسرق من جيب أحد العثمانيين[٣] .

---

(١) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية (ص/٥٦).

(٢) خايربك: سماه المماليك " خاين بك " لأنَّه شارك في خداع طومان باى وتحالف مع سليم خان بن عثمان في معركة الريدانية قرب مدينة نصر في القاهرة، وكان من المفروض أن يقاتل مع " طومان باي" والي مصر، ولما تمكن السلطان سليم من هزيمة المماليك ولاه حاكماً علي مصر.

(٣) بدائع الزهور (٣٤٢/٢)، (١٧٧/٣) لابن إياس الحنفي.

الفصل الرابع
الوسطية في المعاملات

وأمَّا موقف الشرع في ميدان المعاملات، فإنَّه يختلف إختلافاً جوهرياً عن موقفه في كل من ميدان العقائد، وميدان العبادات، فالشريعة الإسلاميَّة هي التي أنشأت للناس صور التبادل والتعاون، والتعامل، ولكنَّها جاءت فوجدت صوراً يتعامل الناس بها فكان لها موقف منها، غير موقف الإنشاء والرسم، وغير موقف الإخبار والوصف، وذلك الموقف هو موقف الإقرار أو التعامل أو الإلغاء، وهو أسلوب الناقد المهذب، وهي لا نتدخل في هذا الميدان إلا بمقدار ما تحمي مثلها ومبادئها التي جاءت بها، ومن العدل والتيسير والرحمة ودفع أسباب التشاحن والبغضاء، وربط أفراد المجتمع برباط من المحبة والتعاون على البر والتقوي، لا على الإثم والعدوان[1].

منهج القرآن في مسائل المعاملات

قال تعالى " يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " (الأعراف /٣١-٣٢).

قال الشيخ مُحَمَّد مصطفي المراغي[2] (ت سنة١٣٦٤هـ) رحمه الله تعالى :

طلب الله ـ سبحانه وتعالى ـ التزين للمساجد يعرفه الناس في عباداتهم وزمانهم، كل حسبما يقدر عليه. وروي عن الحسن أنَّه ﷺ لبس أجود ثيابه، وكان يقول: " إنَّ الله جميل يحب الجمال" [1]

---

(١) مرجع سابق (ص/٣٨) للمدني.

(٢) صفات عباد الرحمن مجلة الأزهر المجلد (١٢) للشيخ الإمام مُحَمَّد مصطفي المراغي.

وطلب ـ سبحانه ـ الأكل والشرب من غير إسراف وتجاوز للحد، مع إلتزام حدود القصد والإعتدال، فإن الإسراف في الطعام والشراب مضر بالبدن، والإسراف فيها وفي غيرها مضيعة للمال.

والنهي عن الإسراف لا يقتصر على الطعام والشراب، بل يعم غيرهما، وفي الحديث: "كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف فإنَّ الله يحب أن يرى نعمته على عبده " (٢)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كل ما شئت وإلبس ما شئت إذا أخطاك اثنان: سرف، ومخيلة.

والمخيلة: الخيلاء والإعجاب والكبر، وبين الله ـ سبحانه ـ إن الزينة في الدنيا والطيبات من الرزق للذين آمنوا في الحياة الدنيا، ويشاركهم غيرهم فيها، ولكنها في الآخرة خالصة لهم لا يشاركهم غيرهم فيها.

وفي القرآن أيضاً:. " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ "

فقد نهى الله ـ سبحانه ـ عن ترك الطيبات تنسكاً وعبادة، وطلب عدم تجاوز الحد إلي الإسراف الضار بالجسد، والإسراف الضار بالمال، وطلب عدم الإسترسال في الشهوات من مطعم ومشرب وغيرهما، حتى لا تكون اللذات هي السهم الأكبر في

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٣٣/٤، ١٣٤، ١٥١، ٢٤١).

(٢) رواه الإمام أحمد واللفظ له، كما رواه النسائي (٧٩/٥) كتاب: الزكاة باب الإختيال في الصدقة، والحاكم في " المستدرك " (١٣٥/٤)، واللفظ له من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه، عن جده، وهذا اسناده حسن.

الحياة، فإن للمؤمن في الحياة قصداً أسمى هو: العلم والمعرفة والعبادة، واكتناه سر الوجود، والإحسان إلى الناس، والنفع العام للجماعة، وإذا كانت اللذات مشغولاً بها إلى حد البحث والطلب والإنتظار والألم عند فقدها، كان ذلك صارفاً عن المقاصد السامية للمؤمن وقد أنكر الله . سبحانه . في الآية السابقة على من حرَّم زينة الله التي أخرجها لعباده، فإن التحريم والتحليل حق الله لا يشاركه أحد فيه، وحرم التشبه بغير المسلمين في اللباس، وذلك أن يلبس المؤمن ثوباً هو شارة مختصة بطائفة غير مسلمة، ففي الحديث الذي رواه أبو داود عن عثمان بن أبي شيبة عن أبي النضر هاشم أخبرنا القاسم به قال ﷺ:" من تشبه بقوم فهو منهم "[1] رواه أحمد في المسند .

قال ابن كثير[2]

ففيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم وغير ذلك من الامور التي لم تشرع لنا ولا نقر عليها. ا هـ.

ثمَّ أباح ما عدا ذلك على شرط القصد والإعتدال، وذلك هو الموافق للفطرة؛ فقد فطرت النفوس على الإستمتاع بالدنيا والطيبات من الرزق، وأعطي الإسلام بذلك البدن حقه، كما أعطى الروح حقه وقال ﷺ: " إنما هلك من كان قبلكم بالتشديد" [3]

طلب القصد والإعتدال

وقد جاء في الحديث الشريف[1]:" الإقتصاد نصف المعيشة، وحسن الخلق نصف الدين "، وفي الحديث:" خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلي، وابدأ بمن تعول " [2].

---

(١) حديث صحيح رواه أبو داود وأحمد (٥٦٦٧) تحقيق : أحمد شاكر ،وهو حديث حسن: مشكاة المصابيح (٤٣٤٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٤٨/١).

(٣) تفسير الطبري (٧/٧).

وقال في الوصيَّة:" الثلث، والثلث كبير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس "[٣] .

هذا هو هدى القرآن لا يحرم الزينة والطيبات من الرزق، وينكر على من يحرم ذلك، كما تفعل بعض الأمم، وبعض الملل؛ لكنَّه يطلب القصد فلا يجيز المباراة في الزينة واللباس والحلي والمباني وغير ذلك، تلك المباراة التي خربت بيوتاً كثيرة عامرة بسبب المغالاة في الأفراح والحفلات وإقتناء أداة الزينة التي لا يقدر مقتنيها عليها وقد كانت هذه المباراة وتلك المغالاة سبباً في خروج الثروة إلى أيدي الشياطين، وكانت سبباً في ضعف المسلمين، وقد وصف الله سبحانه وتعالى عباده بأنهم إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان أمرهم بين ذلك قواما.

هدي السلف الصالح في مسائل المأكل والملبس

مالك ﷺ إمام الدين، وإمام في التقى، لبس الدقاق، وأكل الرقاق، وجلس على الوطي واتخذ حاجباً وعابه يحي بن زيد النوفلي فقال له مالك " قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ " (الأعراف /٣٢).

غير أن مالكاً تواضع فقال: إن ترك ذلك خير من الدخول فيه وربما كان الترك خيراً حتي لا يزيد الناس علي مالك فيسرفوا وهو قدوة، فيكون عمله سبباً في إسراف غيره.

---

(١) إتحاف السادة المتقين للزبيدي (١٦٥/٨).

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه.

قال أبو جعفر الطبري [١] "ت سنة ٣١٠هـ " رحمه الله تعالى

ولقد أخطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان، مع وجود السبيل إليه من حله ومن أكل البقول والعدس وإختاره على خبز البر، ومن ترك أكل اللحم خوفاً من عارض شهوة النساء.ا.هـ.

قال أبو الفرج ابن الجوزي [٢] " ت سنة ٥٩٧هـ " رحمه الله تعالى

"وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة [٣] ولا الدون[٤] ويتخيرون أجودها للجمعة والعيدين ولقاء الإخوان ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحاً، وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب ﷺ أنه رأى حُلَّة سيراء[٥] تباع عند باب المسجد، فقال لرسول الله ﷺ فقال ﷺ: " إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة "،فما أنكر عليه ذكر التجمل بها، وإنما أنكر عليه لكونها حريراً.

هدي الرسول ﷺ في مسائل اللباس [٦]

وفي الرجوع إلى الهدي المحمدي تبصرة ونور وضياء وشفاء. فعن ابن عباس: لقد رأيت رسول الله ﷺ يلبس أحسن ما يكون من الحُلل، وقد لبس ﷺ الإزار والرداء ولبس الجبة والفروج، وهما ثوبان يشبهان القباء والفرجيَّة، ولبس الخميصة المعلمة

---

(١) تلبيس إبليس (٢٢٥) أبو الفرج بن الجوزي.

(٢) المرجع السابق (٢٢٦).

(٣) المرتفعة: الغالية الثمن.

(٤) الدون: الحقيرة.

(٥) سيراء: مصنوعة من الحرير.

(٦) زاد المعاد (١/١٣٧-١٤٠) لابن القيم الجوزية.

والساذجة، ولبس فروة مكفوفة بالسندس، وكان له جبة طيلسانية خسروانية لينة، وكان له بردان أخضران وكساء أحمر، وكان يحب الحيرة وهي ضرب من البرود؛ لكن غالب ثيابه وثياب أصحابه نسيج القطن والصوف والكتان فسنته ﷺ في اللباس أن يلبس ما تيسر على أن لا يكون نوعه محرماً.

وفي الحديث عنه ﷺ:" إنَّ الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته عل عبده ويكره البؤس والتباؤس "[1]

هديه ﷺ في مسائل الطعام والشراب

وكان يحب من الطعام الحلوى، وقد أكل الضأن والدجاج والجزور ولحم الحباري وطعام البحر، وأكل الشواء والرطب والتمر، وشرب اللبن خالصاً ومشوباً، وشرب نقيع التمر، وأكل القديد والدباء[2] والتمر بالزبد، وكان لا يشرب إلا النظيف العذب، ويحب البارد الحلو، وكان يجلب إليه الماء العذب من مسافة يوم أو يومين.

ولم يكن ﷺ في الطعام والشراب يرد موجوداً أو يتكلف مفقوداً وما قرب إليه شيء من الطيبات إلا أكله، إلا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم، وما عاب طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه.

هذا هو هدي القرآن والهدي المحمدي في تناول الطيبات، فمن تركها زهداً وتديناً وعبادة فلا حق له ومن أسرف في الزينة واللذات فلا حق له؛ ومن بخل على نفسه وعلى غيره وعشيرته فلا حق له؛ ومن اتبع " القوام" فهو من صفات عباد الرحمن الذين وصفهم الحق سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه أصحاب السنن.

(٢) الدباء: اليقطين ويطلق عليه في مصر " القرع " أو " الكوسة".

النهي عن الإسراف في الطعام والشراب

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الإسراف في الطعام والشراب فقد روى البيهقي[1]عن أنس قال: قال ﷺ:" من الإسراف أن تأكل كلما اشتهيت " وفي الجامع الكبير[2] للسيوطي روي الحديث بكلمة " كلَّما " ولكن في رواية أخري للبيهقي قال صلى الله عليه وسلم " من الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت ".

والمعني لكلمة " كلما " أي كل وقت تشتهي فيه الأكل فتكون ما مصدرية ظرفية، وأما ما في شعب الإيمان كل ما فتكون ما اسم موصول بمعني الذي أي كل الذي تشتهيه.

وفي الحديث عن أبي هريرة[3] (رضي الله عنه) عنه ﷺ أنه قال:" إنَّ الله يبغض كل جعظري جوَّاظ، سخَّاب في الأسواق، جيفة بالليل، حمار بالنهار، عالم أمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة ".

والجعظري: هو الشديد الغليظ، والجواظ: هو الأكول، والسخاب: هو الصخاب كثير الصياح عال الصوت، والمقصود من الحديث ذم أهل الدنيا والمتكالبين عليها، وموضع الشاهد " الجواظ" وهو الأكول وفي ذلك ذم للمسرف في تناول طعامه وشرابه والأحاديث في ذلك الباب كثيرة جداً ونكتفي منها بهذا القدر، وذلك مصداقاً لقوله تعالى:. " وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " (الأعراف/٣١).

---

(١) رواه البيهقي في "شعب الإيمان " مخطوط بمكتبة الازهر باب: في المطاعم والمشارب لوحة رقم "٢٤٤" عن أنس بن مالك (رضي الله عنه).

(٢) جمع الجوامع (٥٠٣٦-٢٣٤٠٧) للسيوطي ط: مجمع البحوث الإسلامية.

(٣) حديث حسن: أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٩٧٥)، وأبو القاسم الأصبهاني في" الترغيب" (١٩٢٦)، والبيهقي(١٠/١٩٤) عن أبي هريرة مرفوعاً.

آداب السلف في الثياب

قال أبو الفرج: وقد ذكرنا عن أبي العالية أنَّه قال: كان المسلمون إذا تزاورا تجمَّلوا.

وعن ابن عون عن مُحَمَّد قال: كان المهاجرون والأنصار يلبسون لباساً مرتفعاً، وقد اشترى تميم الدراي حلة بألف، ولكنه كان يصلي بها.

وعن مُحَمَّد بن سيرين: أن تميماً الدراي اشترى حُلة بألف درهم، وكان يقوم فيها بالليل إلى صلاته

وفي رواية أخري عن حماد بن سلمة عن ثابت أن تميماً الدراي كانت له حلة قد إبتاعها[1] بألف كان يلبسها الليلة التي ترجي فيها ليلة القدر، وفي رواية أخري " فكان يصلي بأصحابه فيها ".

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: وكان ابن مسعود من أجود الناس ثوباً وأطيبهم ريحاً، وكان الحسن البصري يلبس الجياد.

وقال كلثوم بن جوشن: خرج الحسن وعليه جبة يمنية[2] ورداء يمني فنظر إليه فرقد، فقال: يا أستاذ لا ينبغي لمثلك أن يكون هكذا!

فقال الحسن: يا ابن أم فرقد أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية [3].

وكان مالك بن أنس: يلبس الثياب العدنية الجياد[1]، وكان ثوب أحمد بن حنبل يشتري بنحو الدينار، وقد كانوا يؤثرون البذاذة[2] إلى حد. وربما لبسوا خُلقان الثياب في

---

(١) إبتاعها: إشتراها.

(٢) يمنية: نسبة إلي بلاد اليمن.

(٣) الأكسية: لباس الصوف والمقصود ثوب الشهرة الذي يعرف صاحبه بالزهد.

بيوتهم فإذا خرجوا تجملوا ولبسوا ما لا يشتهرون به من الدون " الثياب الخلقة" ولا من الأعلى.

قيل إن الحسن البصري كان يلبس ثوباً بأربعمائة درهم، وفرقد السبخي كان يلبس المسوح، فلقيه السبخي يوماً(أي لقي الحسن لبصري)، فقال له: يا أبا سعيد ما ألين ثوبك!. فقال الحسن: يافرقد ليس لين ثيابي يباعدني من الله، ولا خشونة ثيابك تقربك إليه،" إن الله جميل يحب الجمال"(٣).

هذا هو منهج الإسلام في اللباس والزينة والطعام والشراب والطيبات من الرزق عامة لا تحريم لما أخرج الله لعباده، ولا إسراف ولا إلتماس لغير الطيبات ولا تحرج من تطلب المتاع الحسن من وجوهه المشروعة، ولا بأس بالتنافس في سبيل التقدم والرقي تنافساً شريفاً من شأنه أن يرفع مستوي البشر ويحقق إلى جانب ذلك سموهم الروحي وكمالهم الخلقي.

فكما رأينا منهج وسطي معتدل لا إفراط فيه ولا تفريط، وليعتبر أصحاب الملذات والقصور المشيَّدة، كم بين المسلمين من يتيم يتضور جوعا! وكم من مريض لا يجد ثمن الدواء! وكم من مسلم لا يجد مأوى أو ثمن الرداء! وليحذروا أن تتحول عنهم هذه النعم إلى غيرهم، كما قال النبي ﷺ:" إنَّ لله أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، فحوَّلها إلى غيرهم "(٤)

---

(١) العدنية: نسبة إلي عدن في اليمن.

(٢) البذاذة: حسن الثياب.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٣٣٣/٤).

(٤)ذكره الألباني في الصحيحة (١٦٩٢)، وعزاه لابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، والطبراني في الأوسط، وأبي نعيم في الحلية ن والخطيب في التاريخ، ويحي بن منده في أحاديثه، وتمام في

الإسلام وفلسفة العري

قال الشيخ المدني[1]:.

والواقع أنَّ مسألة اللباس والزينة من المسائل التي إختلفت فيها عادات الناس وأذواقهم، إختلفوا في أصلها، وإختلفوا في مادتها وطريقة لبسها، والذي يعنينا من ذلك هو أن نذكر أن فريقاً من البشريَّة أخذت يؤثرون العُري والتخلي عن الثياب عامة، ونحسب أن البشرية بهذا التقليد في بعض عصور إنحطاطها عندما كان الإنسان كهفياً جبلياً، ثمَّ وجد في الناس من يتفلسف في هذا فيزعمه تخلصاً من التكلف، ورجوعاً إلى الفطرة والطبيعة، ويقول: إنَّ الإنسان يولد عارياً ككل حيوان آخر، فلماذا يتكلف اللباس؟ ولماذا لا يبقى على الوضع الذي خلقه الله عليه كما تبقى الحيوانات الأخري؟.

وهل يجر عليه اللباس إلا تعقيدات هو في غنى عنها لو ألف العري والتجرد؟ وهل جاء التفاوت الطبقي إلا من هذه الإضافات وأثالها إلى الطبيعة المجردة؟.

ومن الناس من يفلسف العري على نحو آخر، وقد بدأ هذا من فكرة الزهد والتقشف والميل إلى عبادة الله بالتجرد، فإننا نري هذا في المتصوفة حيث يكتفون بأيسر الثياب وبأدناها مادة، فيلبسون الصوف لخشونته أو المرقعات لحقارتها والرغبة في إذلال النفس وتعذيبها، فانتقل بعض الناس من هذا إلى التخلص من الثياب كلها زاعمين أن ذلك قُربان وتضحية وعبادة وإمعان في حرمان النفس.

وهؤلاء المشركون لهم أيضاً فلسفة باطلة في هذا كما تدلنا الرواية[1] التي تقول أن المرأة من قريش كانت تطوف بالبيت عارية وهي تنشد:.

الفوائد، وأبي نعيم في "أخبار أصبهان "، وابن عساكر في التاريخ، والضياء في "المنتقى " من مسموعاته بمرو، وقال: فالحديث عندي حسن بمجموع هذه المتابعات.

(١) مرجع سابق (ص/٤٢).

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

ويقولون: نتعرى عند الطواف الذي هو عبادة وقُربة، لأنَّ الثياب التي نلبسها هي ثياب صاحبتنا في معاصينا وذنوبنا، فليست جديرة بأن تصاحبنا في عبادتنا وطوافنا.

نوادي العُراة في الغرب وانحطاط الأخلاق

وفي العالم الأن أقوام يؤثرون العري إما لنشأتهم في بلاد سحيقة بعيدين عن المدينة والتهذيب، كبعض سكان إفريقيا، وإما لمعان زعموها مبررة لذلك، كالذين نسمع عنهم في أوربا وأمريكا من أصحاب نوادي العراة، الذين يتخذون أماكن لهم خاصة فيخلعون الثياب عند أبوابها، ويدخلونها متجردين كما ولدتهم أمهاتهم، ويختلطون على هذا النحو لافرق بين رجل وإمرأة، ولا بين كبير وصغير، وقد سمعنا أخيراً أنهم يحاولون عقد مؤتمر عام لهم في أي بلد من بلاد أوروبا أو أمريكا، يجمع بين أرباب الجنسيات المختلفة منهم، ويقرون فيه مبدأهم ويدعون العالم إليه، ولكن الناس لم يسمعوا إليهم.

---

(١) الحديث يقول: عن ابن عباس ﷺ قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول: من يعيرني تطوافاً؟ تجعله علي فرجها وتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله. فنزلت هذه الآية " خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ " (الأعراف /٣١)، وهذا الحديث صحيح أخرجه مسلم (٦٠٩/٢) . كتاب التفسير باب: قوله تعالي " خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ "، والنسائي (٢٣٣/٥، ٢٣٤) وفي الحج باب قوله تعالي " خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ " وأخرجه الحاكم (٣١٩/٢، ٣٢٠) بنفس طريق شعبة عند مسلم وقال: هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي

القرآن يحارب العري [١]

وقد قضى القرآن الكريم على هذا كله، وأبطل كل إتجاه إليه سواء أكان اتجاهاً إلى فطرية مزعومة، أو إلى فلسفة موهومة، وسلك إلى هذا كله سبيلاً يرجع الأمر فيه إلى أصله منذ برز الإنسان إلى هذه الحياة، وسكن هذا الكوكب، فهذه الآيات جاءت في سورة الأعراف، وقد عرضت هذه السورة إلى الحديث عن آدم وزوجته فذكرت أنه لما حان الوقت لخروجها من الجنة، بدت لهما سوآتهما . أي عوراتهما . فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وذلك يدل على أن طبيعة الإنسان الأول . آدم أبو البشر . تنفر من إكتشاف السوأة " العورة" وعلى أنهما حين كانا في الجنة كان عليهما ما يسترهما، والجنة هي الدار المثلى، فلو كان الأمثل بالإنسان أن يتعرى فيها لكان آدم وزوجه فيها عاريين. ثم جاء في هذه السورة أيضاً قوله تعالى:.

" يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ " (الأعراف/٢٦).

ومعنى إنزال اللباس الذي يواري السوآت، والريش الذي هو زينة زائدة علي ذلك ومتاع فوق السترة: أن الله تعالى هيأه للإنسان، ووجهه إليه منذ القدم، وجعل في طبيعته وفطرته إستحسان وإتخاذه والتفرد به عن الحيوانيَّة البهيمية، تلك المظاهر التي أجملها القرآن الكريم في قوله تعال:. " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً " (الإسراء/٧٠) وجاء الإنزال بمعني التهيئة والتمكين في غير هذا الموضع أيضاً، ومن ذلك قوله تعالى:. " وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ " (الحديد/٢٥)

وأما قوله تعال:. " وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ" (الأعراف/٢٦).

---

[١٨٤] يراجع كتاب الموضة في التصور الإسلامي تأليف : فاطمة بنت عبد الله ، ط: القاهرة ١٤١١ هـ /١٩٩٤ م

فالمراد به تقرير الحقيقة في الجانب الروحي للإنسان، ومقابلة الجانب الجسمي بها، وهو تعبير مجازي أو رد على طريقة المشاكلة إيحاء بأنَّ للناس نوعين من اللباس والزينة، أحدهما: اللباس الحسي الذي يواري السوآت ويبدي المحاسن الجسميَّة، والآخر اللباس المعنوي الروحي، الذي هو أعلى شأناً، وأعظم خيراً من اللباس المادي، وفي كل خير وقد جاء في السورة بعد هذا:.

" يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا " (الأعراف/٢٧).

وتلك إشارة ـ في هذه الآية ـ إلى أنَّ اللباس خير وكمال، ولذلك كان الشيطان الذي هو العدو الأكبر للإنسان، سبباً في نزعه عنهما، وتجريدهما منه، والعدو من شأنه أن يعمل الشر ويدبر السوء لعدوه، وإذن فالشر إنما هو في العري والتجرد .

الباب الثالث:

الوسطيَّة في مكارم الأخلاق

الفصل الأول
انحراف أهل الكتاب عن منهج الوسطية

رهبانيَّة أهل الكتاب

نهى النبي ﷺ أصحابه عن الحذو حذو الرهبان والسير على نهج أمة النصاري والتحذير من التبتل والإنقطاع للعبادة وترك الزواج، والإنغماس في الصيام والصلاة وحياة التقشف ولبس المسوح، وتعذيب النفس بدعوي الحرص على مرضاة الله وشدة الإجتهاد في العبادة ومن خلال ما سوف نسوقه من أدلة وبراهين توضح الهاوية التي إنزلقت إليها أمة النصارى من جرَّاء إنحرافهم عن القصد في العبادة ومراعاة حقوق النفس البشرية التي لو هضمها الإنسان حقها لأهلك نفسه وفرط في الأمانة التي أودعها الحق تعالى فيه فلكل جارحة من جوارح الإنسان حق على المرء أن يؤديه كاملاً وكل تفريط في الحق هو مخالفة صريحة لأوامر الله ولو كان ذلك . كما يزعم هؤلاء . إستغراق في الطاعة بالكلية وإعراض تام عن الدنيا بزخرفها بل إن ذلك في الحقيقة هو إنحراف عن الشريعة،، وإعراض عن الحق ومسلك جائر، وغلو وتنطع مرفوض.

معني الرهبانيَّة

ومعني الرهبانية:. التخلي عن أشغال الدنيا وترك ملاذها والزهد فيها والعزلة عن أهلها [1].

والرهبانية هي الرهبنة، وأما تعريف الراهب هو المتعبد من النصاري في صومعة يتخلى فيها عن أشغال الدنيا وملاذها وتجمع على رهبان.

---

(١) المعجم الوجيز (ص/١٧٩) مادة " رهب ". ط: مجمع اللغة العربية ١٩٩٢م، مختار الصحاح (ص/٢٥٩) لمحمد بن أبي بكر الرازي. المطبعة الاميرية. بالقاهرة ١٩٥٣م.

كيف نشأت الرهبانيَّة في أمة النصاري؟

قال تعالى:. " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ. ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ " (الحديد /٢٦-٢٩).

قال الحافظ عماد الدين بن كثير[1] رحمه الله تعالى:.

يخبر الحق تعالى أنَّه منذ بعث نوحاً . عليه السلام . لم يرسل بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته، وكذلك إبراهيم . عليه السلام . خليل الرحمن لم ينزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً ولا أوحي بشر من بعده إلا وهو من سلالته كما قال تعالى في الآية الأخرى " وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ " حتي كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسي ابن مريم الذي بشر من بعده بمحمداً صلوات الله وسلامه عليهما، ولهذ قال تعالى:. " ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ " وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه " وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ " وهم الحواريون " رَأْفَةً " أي رقة وهي الخشية و " وَرَحْمَةً " بالخلق، وقوله " وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا " أي إبتدعتها أمة النصاري " مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ " أي ما شرعناها لهم وإنما هم إلتزموها من تلقاء أنفسهم " إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ " فيه قولان:. أحدهما: أنهم قصدوا بذلك رضوان الله. قاله سعيد بن جبير وقتادة والقول الآخر: ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم رضوان الله.

" فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا " أي فما قاموا بما إلتزموه حق القيام، وهذا ذم لهم من وجهين:.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٣١٦).

الأول: الإبتداع في دين الله ما لم يأمر به الله.

الثاني: في عدم قيامهم بما إلتزموه بما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله عز وجل.

حديث النبي ﷺ عن نشأة الرهبانيَّة

عن عبد الله ابن مسعود[1] عن أبيه عن جده قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:. "يا ابن مسعود!" قلت: لبيك يا رسول الله.

قال:" هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على إثنتين وسبعين فرقة؟ لم ينج منها إلا ثلاث فرق قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى بن مريم عليه السلام فدعت إلى دين الله، ودين عيسى بن مريم فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال فقامت بين الملوك والجبابرة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فقتلت وقطعت بالمناشير وحرقت بالنيران فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أخري لم تكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله تعالى:. " وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ". ا.هـ.

عبد الله بن عبَّاس يفسر الآية

روي ابن جرير وأبو عبد الرحمن النسائي واللفظ له عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلت التوراة والإنجيل فكان منهم مؤمنون يقرأون التوراة والإنجيل فقيل لملوكهم ما نجد شيئاً أشد من شتم يشتمونه هؤلاء إنهم يقرأون[2]

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣١٦/٤) سورة الحديد آية (٢٧) والحديث رواه ابن أبي حاتم من طريق اسحاق بن أبي حمزة كما رواه ابن جرير الطبري في تفسيره بلفظ آخر من طريق أخري " يحى بن أبي طالب " عبد الله بن مسعود عن جده مسعود عن النبي ﷺ.

(٢) والمقصود بالطبع أنّ هذه المعاني والكلمات موجودة في التوراة والإنجيل كما هي موجودة في

" وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ " (المائدة /٤٤) هذه الآيات مع ما يعيبوننا به من أعمالنا في قراءتهم فادعهم فليقرءوا كما نقرأ أو ليؤمنوا كما آمنا، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل، أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدَّلوا منها فقالوا: ما تريدون إلى ذلك دعونا فقالت طائفة منهم إبنوا لنا إسطوانة ثمَّ إرفعونا إليها ثم إعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة: إبنوا لنا دوراً في الفيافي[1] ونحتفر الآبار ونحرث الحقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس أحد من القبائل إلا له حميم فيهم ففعلوا ذلك فأنزل الله تعالى:

" وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ".

والآخرون قالوا: نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دوراً كما إتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين إقتدوا بهم[2].

فلما بعث الله النبي ﷺ لم يبق منهم إلا القليل إنحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدير من ديره فآمنوا به وصدقوه؛ فقال الله عز وجل:

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ".

القرآن.

(١) الفيافي: الصحروات.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣١٧/٤).

عُمر بن عبد العزيز يصحح المفاهيم

دخل سهل بن أبي أمامة هو وأبوه على أنس بن مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير، وهو يُصلي صلاة خفيفة وقعها كأنها صلاة مسافر أو قريباً منها فلما سلم قال: يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة أم شيء تنفلته [١]؟ قال إنها المكتوبة، وإنما صلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت إلا شيئاً سهوت عنه أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: " لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم؛ فإنَّ قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع بديار قفر باد أهلها وإنقرضوا وفنوا خاوية على عروشها فقالوا:أتعرف هذه الديار؟ قال: ما أعرفني بها وبأهلها هؤلاء أهل الديار أهلكهم البغي والحسد؛ إن الحسد يطفيء نور الحسنات والبغي يصدق ذلك أو يكذبه، والعين تزني، والكف والقدم والجسد واللسان، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه " [٢]

أسباب الرهبانيَّة

لخصَّ الدكتور سفر الحوالي [٣] في كتابه النفيس " العلمانية " أسباب الرهبانيَّة في النقاط التالية:.

١- عقيدة الخطيئة الأصلية الموروثة.

٢- رد الفعل المتطرف للمادية اليهودية الجشعة والأبيقورية.

٣- الأثر الذي خلفته الفلسفات والوثنيات التهربية القانطة.

٤- الأوضاع الإجتماعيَّة القاسية.

---

(١) تنفلته: المقصود صلاة النقفل أو النافلة وهي صلاة السنة.

(٢)رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي أنظر: تفسير القرآن العظيم (٣١٧/٤).

(٣) العلمانية (ص/٨٦-٨٩) رسالة ماجستير مطبوعة. (بتصرف شديد) " وهو من أهم المؤلفات التي صدرت في القرن العشرين في موضوعه ".

وللأسف لقد غفل الدكتور سفر عن أهم وأخطر هذه الأسباب على الإطلاق إن لم يكن هو السبب الرئيسي والحاسم في الموضوع ولولاه لما نشأت الرهبانيَّة أصلاً ومما ذكره هي أسباب ثانوية ألا وهو: حروب الإبادة والإضهاد العظيم التي تعرَّض لها المؤمنون بتعاليم المسيح من الرومان الوثنيين الكفرة عباد الأصنام والأوثان وهذا هو السبب الذي ذكره النبي ﷺ والذي وضحناه في الحديث السابق.

نظام الرهبانيَّة [١]

١- العزوبة وعدم الزواج مطلقاً.

٢- التجرد الكامل عن الدينا.

٣- العبادة المتواصلة.

٤- التعذيب الجنوني.

مهازل الرهبانيَّة

قال العلامة أبي الحسن الندوي[٢] (ت سنة ١٤٢٠هـ).

لم يقتصر الأمر على ما ذكر بل ـ كما هي طبيعة البدع ـ تجاوز ذلك إلى تصرفات جنونية تشمئز لها الفطر السليمة، إبتدعها بعض الرهبان ليعبروا عن قوة إيمانهم وعمق إخلاصهم لمبدئهم " وروي المؤرخون من ذلك عجائب فحدثوا عن الراهب مكاريوس أنه نام ستة أشهر في مستنقع لقرض جسمه العاري ذباب سام وكان يحمل دائماً نحو قنطار من حديد.... وكان صاحبه الراهب يوسيبيس يحمل نحو قنطارين من حديد، وقد أقام ثلاثة أعوام في بئر نزح...

---

(١) العلمانية (ص/٨٩-٩٣) مرجع سابق " بتصرف وإيجاز شديد".

(٢) ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين (١٦٨).

وقد عبد الراهب يوحنا ثلاث سنين قائماً على رجل واحدة ولم ينم ولم يقعد طوال هذه المدة، فإذا تعب جداً أسند ظهره إلى صخرة.

وكان بعض الرهبان لا يكتسون دائماً، وإنما يتسترون بشعرهم الطويل ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام، وكان أكثرهم يسكنون في مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر ويأكل كثير منهم الكلأ والحشيش، وكانوا يعُدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح ويتأثمون عن غسل الأعضاء، وأزهد الناس عندهم وأنقاهم أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم في النجاسات والدنس.

يقول الراهب أتهينس: إنَّ الراهب أنتوني لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمرة، وكان الراهب ابراهام لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة، وقد قال الراهب الإسكندري بعد زمان متلهفاً: واأسفاه لقد كنا في زمن نعد غسل الوجه حراماً، فإذا بنا الآن ندخل الحمامات.ا.هـ

"وهناك راهب منعزل إخترع درجة جديدة من الورع يربط نفسه بسلسلة إلى صخرة في غار ضيق"[1]

وأما القديس كولمبان فكانت السناجب تجثم على كتفه فتدخل في قلنسوته وتخرج منها وهو ساكن[2].

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية (٧٣٢) هـ. ج. ويلز ترجمة عبد العزيز جاويد القاهرة ١٩٦٧م.

(٢) قصة الحضارة:(٣٦٥/١٤) ول ديورانت، ت.مُحَمَّد بدران، القاهرة ١٩٥٧م.

وللمزيد: تاريخ أخلاق أوربا للعلامة: ليكي ـ الفصل الثاني ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين (ص/٢٣٨-٢٤٢) للعلامة:أبو الحسن الندوي ط. القاهرة ١٤١٠هـ.

نتائج الرهبانيَّة

قال الدكتور سفر الحوالي في كتابه " العلمانيَّة "[1]

من سنن الله في الكون أنَّ كل مبدأ أو نظام لا يساير الفطرة البشرية فإن مآله إلى الخسران والفناء، ومصير أتباعة شقاء مطبق وضياع مرير، ولا يستطيع أحد أن يأتي بدين يوائم الفطرة إلا خالقها جل شأنه، ولذلك كان المبتدعون وواضعوا المذهب البشرية أكثر من شيء إساءة إلى الجنس البشري

وما من شك في أن الرهبانية ليست من فطرة الإنسان ولا من غايات وجوده، بل هي على النقيض من ذلك ولهذا لم يأمر بها الله ولم يشرعها " وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا " (الحديد /٢٧).

فهي بدعة حتي بالنسبة للذين تطوعوا بإلزام أنفسهم بها مدفوعين بالحرص على رضا الله فما بالك بها بعد أن إنخرط في سلكها الفساق وطلاب الدنيا؟.

إنَّ المرء لا تقع عينه على مؤلف من مؤلفات تاريخ الغرب في عصوره الوسطى إلا ويرى فيه ما يشين ويلطخ الحياة الرهبانيَّة من الفضائح الشنيعة والدعارة التي لا تضارعها دعارة مواخير الفساد.

يقول رئيس دير كلوني: إنَّ بعض رجال الدين في الأديرة وفي خارجها يستهترون بابن العذراء إستهتاراً يستبيحون معه إرتكاب الفحشاء في ساحاته نفسها، بل في تلك البيوت التي أنشأها المؤمنون الخاشعون لكي تكون ملازماً للعفة والطهارة في حرمها المسور، لقد فاضت هذه البيوت بالدعارة حتي أصبحت مريم العذراء لا تجد مكاناً تضع فيه الطفل عيسى[2].

---

(١) العلمانية (ص/٩٣-٩٤).

(٢) قصة الحضارة: (٣٧٢/١٤) نقلاً عن العلمانية (ص/٩٤) لسفر الحوالي.

نتائج الغلو ومجافة الفطرة عند أهل الكتاب

لقد أدي التزمت والغلو في الدين ومغالبة الطبع السوي والفطرة السليمة إلى نتيجة عكسية تماماً وأصبحت الأديرة مباءات للفجور والفسق تضرب بها الامثلة في ذلك، وقد وصل الحال بنصارى الشرق . وربما كانوا أكثر حياء وأشد تمسكاً . إلى حد أن المستهترين من الخلفاء والشعراء كانوا يرتادون الأديرة كما يرتاد رواد الدعارة اليوم بيوت العهر وألفوا في ذلك كتباً منها كتاب "الديارات " المعروف لدي دارسي الأدب العربي[1].

قال الشيخ أبو الحسن الندوي [2] قدس الله سرَّه :

كان نتيجة هذه الرهبانية أن خِلال (صفات) الفتوة والمروءة التي كانت تعد فضائل، عادت فإستحالت عيوباً ورذائل، وزهد الناس في البشاشة وخفة الروح والصراحة والسماحة والشجاعة والجرأة وهجروها، وكان من أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم الحياة المنزلية؛ ورغم الكنود والقسوة على الأقارب، فكان الرهبان الذين تفيض قلوبهم حناناً ورحمة، وعيونهم من الدمع، تقسو قلوبهم، وتجمد عيونهم على الآباء والأمهات، والأولاد يتامى، عالة يتكففون الناس، ويتوجهون قاصدين الصحراء، همهم الوحيد أن ينقذوا أنفسهم من الآخرة لا يبالون ماتوا أو عاشوا وحكي العلامة ليكي في كتابه" تاريخ أخلاق أوربا"حكايات تدمع العين وتحزن القلب.ا.هـ

---

(١) الكتاب من تأليف أبو الحسن الشابشني حققه: كوركيس عواد نقلاً عن العلمانية (ص/٩٥). ليكي.

(٢) ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين (ص/٢٤٢) نقلاً عن " تاريخ أخلاق أوربا"

موقف الرُهبان من المرأة

وكانوا يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قربهن والإجتماع بهن، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهن في الطريق والتحدث إليهن ولو كن أمهاتاً وأزواجاً أو شقيقات تحبط أعمالهم وجهودهم الروحيَّة، وروي ليكي من هذه المضحكات المبكيات شيئاً كثيراً.

هذا بالنسبة للمترهبين، أما الفرد المسيحي العادي فقد ضعفت ثقته بالدين وتزعزت في نفسه القيم والأخلاق الدينية. كيف لا وهو يري خِصيان الملكوت ومثال الطهر يغرقون في الفجور وينالون من المتع الجسدية مالا يمكنه بلوغه. أما الغيورون منهم فقد إتخذوا ذلك ذريعة للإنشقاق عن الكنيسة وتكوين فرق دينية لها أديرة خاصة تبدأ أول الأمر نظيفة، لكنها لا تلبث أن تعود فتسقط فيما سقط فيه أسلافها. كل ذلك كان في الفترة التي لا تزال قبضة الكنيسة فيها قوية ونفوذها صلباً لكن المرحلة التي شهدت ضعف سلطانها فيما بعد شهدت رد فعل طاغياً ضد أغلال الكنيسةوقيودها مما جعل بذور الفلسفات الإباحيَّة والحركات غير الإخلاقية تنموا نمواً مطرداً، وصحح الرأي القائل بأن "المسيحية نفاق منظم كما إتهمتها أجيال عديدة من النقاد العقليين المرة تلو الأخري "أنها لم تكن عند أكثر الناس غير ستار رقيق يخفي تحته نظرة وثنية خالصة إلى الحياة [1].

رهبانيَّة أمة الإسلام الجهاد في سبيل الله

لقد حذَّر الله تعالى بني إسرائيل من اليهود والنصاري من إنحرافهم عن الفطرة السويَّة والذوق السليم ومضادتهم لسنن الله الكونية والغلو في الدين. فقال تعالى:. " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ " (النساء /١٧١).

(١) تاريخ العالم (٣٣٠/٤) نقلا عن " العلمانية " (ص/٩٥).

قال الحافظ ابن كثير الدمشقي[1]

ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصاري فإنهم تجاوزا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها فنقلوه من خير النبوة إلى أن إتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة وإتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً، أو ضلالاً أو إرشاداً أو صحيحاً أو كذباً.

وفي هذه الإيماءة سوف نظهر الفرق بين رهبانيَّة أمة الإسلام، ورهبانية أمة النصاري من خلال عرض المفهوم الصحيح للرهبانية في الإسلام.

ولله در القائل:.

والضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتميز الأشياء

وعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال:.

" لكل نبي رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل "[2]

وروي الإمام أحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري ﷺ. أنَّ رجلاً جاءه فقال: أوصني فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك: " أوصيك بتقوى الله؛ فإنه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فإنَّه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض " تفرد به أحمد.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥٥٨/١) تفسير سورة النساء (١٧١).

(٢) رواه أحمد في المسند، والحافظ أبو يعلى عن عبد الله بن المبارك بلفظه.

معني قوله ﷺ لا رهبانيَّة في الإسلام

ورد حديث عنه ﷺ رواه البيهقي عن سعد بن أبي وقاص قال ﷺ " لا رهبانيَّة في الإسلام ".

قال الحافظ: ابن حجر العسقلاني [1]: لم أره بهذا اللفظ، واللفظ عند البيهقي " أنَّ الله أبدلنا بالرهبانيَّة الحنيفية السمحة " واللفظ الثاني هو الأصح، وأن كان الأول صحيحاً فهو محمول على أنَّه لارهبانية في الإسلام كالتي عليها أهل الكتاب لأنها تخالف جميع الشرائع السماوية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [2] قدَّس الله سره:

بعد ان أستشهد بحديث أنس بن مالك في الصحيحين عن قصة الرهط[3] قال: والأحاديث الموافقة لهذا كثيرة في بيان أنَّ سنته التي هي الإقتصاد في العبادة وفي ترك الشهوات خير من رهبانية النصارى التي هي ترك عامة الشهوات من النكاح وغيره، والغلو في العبادات صوماً وصلاة . وقد خالف هذا بالتأويل طائفة من الفقهاء والعباد.

ومثل هذا: ما رواه أبو داود في سننه عن العلاء بن عبد الرحمن عن القاسم ابن عبد الرحمن عن أبي أمامة أن رجلاً قال: يا رسول الله إئذن لي في السياحة؟.

قال رسول الله ﷺ:" إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ".

فأخبر الرسول ﷺ بأن أمته سياحتهم الجهاد في سبيل الله، وفي حديث آخر قال ﷺ:" إنَّ السياحة هي الصيام ".

---

(١) كشف الخفا (٥٢٨/٢) الحديث رقم (٣١٥٤). أنظر فتح الباري (٩١/٩).

(٢) أقتضاء الصراط المستقيم (ص/١٠٢-١٠٤). ط: دار المدني بجدة.

(٣) تقدم تخريجه.

" والسائحون" هم الصائمون، ونحو ذلك، وذلك تفسير لما ذكره الله تعالى في القرآن من قوله "السَّائِحُونَ" (التوبة/١١٢). وقوله "سَائِحَاتٍ" (التحريم /٥).

وأما السياحة: التي هي الخروج في البرية من غير مقصد معين، فليست من عمل هذه الأمة.

رأي الإمام أحمد في الرهبانية رحمه الله تعالى (١٦٤-٢٤١هـ)

ليست السياحة من الإسلام في شيء، ولا من فعل النبيين، ولا الصالحين، مع أنَّ جماعة من إخواننا قد ساحوا السياحة المنهي عنها متأولين في ذلك، أو غير عالمين بالمنهي عنه، وهي من الرهبانية المبتدعة التي قال فيها النبي ﷺ " لا رهبانية في الإسلام ".ا.هـ.

فهذا هو موضوع الشاهد هنا فمعني الحديث هنا:" لا رهبانية في الإسلام" أي: الرهبانية المنهي عنها وهي رهبانية أهل الكتاب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] (ت ٧٢٨م) رحمه الله تعالى:.

والغرض هنا بيان ما جاءت به الحنيفية من مخالفة اليهود فيما أصابهم من القسوة عن ذكر الله، وعما أنزل من الهدى الذي به حياة القلوب، ومخالفة النصارى فيما هم عليه من الرهبانية المبتدعة، وإن كان قد إبتلي بعض المنتسبين منا إلى علم أو دين بنصيب من هذا ومن هذا ففيهم شبه بهؤلاء وهؤلاء

ونظراً لأن النفوس " لا تترك إلا بشيء، وأن النفوس قد خلقت لتعمل لا لتترك، وإن الأنبياء بعثوا بتكميل الفطرة وتكريرها لا بتبديلها وتغييرها "[2].

---

(١) إقتصاد الصراط المستقيم (ص/١٠٤) للإمام / أحمد بن عبد السلام بن تيمية.

(٢) النبوات (ص/٥٦). (بتصرف)

ولذلك فقد صرف الرسول ﷺ الصحابة عن التبتل والإنقطاع إلى العبادة والسياحة صرفهم إلى الجهاد في سبيل الله عزوجل وإلى الصيام وغير ذلك ليصرف المسلمين عن رهبانيَّة أهل الكتاب المبتدعة ويبدل الشيء بالشيء ويعطي النفس حقها من النشاط والترويح.

هل الجهاد أو الإنقطاع للعبادة أيهما خير؟

رجال تحيا القلوب بذكر أخبارهم

وفي هذه الحكاية التي سوف نرويها نتعلم الفرق بين رهبانيَّة المسلمين ورهبانية أهل الكتاب فقد روى الحافظ بن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك من طريق عبد الله بن المبارك في هذه الأبيات بطرسوس(١)، وأنشدها معي إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومائة ١٧٠هـ وفي رواية سنة ١٧٧هـ يقول فيها:.

يا عابد الحرمين (٢)لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب

من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنـــا تتخضب

أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعـــــب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... رهج السنابك والغبار الأطيب

ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب

لا يستوي غبار خيل(٣)الله في ... أنف إمريء ودخان نار تلهب

هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

---

(١)طرسوس: مدينة تقع علي تخوم بغداد بالعراق، وهي تقع الآن في سوريا.

(٢) عابد الحرمين: لقب الفضيل بن عياض ﷺ.

(٣) وفي رواية " أهل الله "، والتي أثبتناها أدق وأصوب.

قال: فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه . أي ابن المبارك . في المسجد الحرام فلما قرأه ذرفت عيناه وقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصح ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قال: قلت: نعم! قال: فأكتب هذا الحديث كراء [١] حملك كتاب أبي عبد الرحمن إلينا، وأملى على الفضيل بن عياض حدثنا منصور بن المعتمر عن أبي صالح عن أبي هريرة أنَّ رجلاً قال: هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر[٢] وتصوم فلا تفطر؟ فقال: يا رسول الله أنا أضعف من أن أستطيع ذلك، ثم قال النبي ﷺ:

" فوالذي نفسي بيده لو طوقت ذلك ما بلغت المجاهدين في سبيل الله،أو ما علمت أن المجاهد ليستن في طوله [٣] فيكتب له بذلك الحسنات "[٤].

---

(١)كراء: أجرة.

(٢) تفتر: أي تمل وتسأم.

(٣) يستن: أي يعدو ويجري إقبالاً وإدباراً وقولهم: إستنت الفرس أي عدت إقبالاً وإدباراً

(٤) النجوم الزهراة (١٠٣/٢) لابن تغرى بردي، طبقات الشافعية الكبري (٢٠١/١) عبد الوهاب السبكي. تاريخ بغداد (٢١/١). ط: السلفية بالمدينة المنورة، وهو من رواية الذهبي، وأنظر: تفسير القرآن العظيم (٤٢٣/١) تفسير الآية (٢٧) سورة آل عمران.

الفصل الثاني

الوسطية في آداب الدنيا والدين[1]

ومن أمور الوسطيَّة:.

١- عدم الإفراط في الحب والبغض

قال أبو الحسن الماوردي (ت سنة ٤٥٠هـ) رحمه الله تعالى

وينبغي أن يتوقى الإفراط في محبته . يعني صديقه . فإن الإفراط داع إلى التقصير، ولئن تكون الحال بينهما نامية أولي من أن تكون متناهية.

وقد روى ابن سيرين عن أبي هريرة (ﷺ)، أنَّ رسول الله ﷺ قال: أحبب حبيبك هوناً ما،عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما "[2]، وروى البخاري[3] أيضاً وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال لي عمر بن الخطاب: يا أسلم لا يكن حبك كلفاً، ولا يكن بغضك تلفاً. قلت: وكيف ذلك؟ قال: إذا أحببت فلا تكلف كما يكلف الصبي بالشيء يحبه، وإذا أبغضت فلا تبغض بغضاً تحب أن يتلف صاحبك ويهلك ".

---

(١) إقتصرنا في هذا الفصل علي بعض الآداب والقضايا دون بعض حتي لا يطول البحث ويخرج عن المراد.

(٢) حديث صحيح موقوف أخرجه البخاري في " الأدب المقرد " (١٣٢١) باب رقم (٦٤٣) عن علي (ﷺ)، والترمذي (١٩٩٧) عن أبي هريرة، والبزار في " مسنده" (١/٢٦٧/٢)، وابن حبان في " المجروحين" (٣٥١/١)، وابن عدي في " الكامل" (٧١٢/٢) ظظن وأبو الشيخ في " الأمثال" " رقم /١١٤"، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠٢/١٤)، ومسدد في " مسنده" المطالب العالية (٩/٣)، والبيهقي في " الشعب" (٦١٦٨-٦١٧٠) بسند حسن.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (٢٠٢٦٩/١١) عن معمر، والبخاري في " الأدب المفرد" رقم (١٣٢٢) عن مُحَمَّد بن جعفر عن زيد بن أسلم. وسنده صحيح.

قال أبو الأسود الدؤلي:. [1]

وكن معدناً للخير واصفح عن الأذى ... فإنَّك راء ما علمت وسامع

وأحبب إذا أحببت حباً مقارباً ... فإنك لا تدري متي أنت نازع

وأبغض إذا أبغضت غير مباين ... فإنك لا تدري متي أنت راجع

وقال عدي بن زيد:.

لا تأمنن من مبغض قرب داره ... ولا من محب أن يمل فيبعدا

وإنَّما يلزم من حق الإخاء بذل المجهود في النصح، والتناهي في رعاية ما بينهما من الحق فليس في ذلك إفراط وإن تناهى، ولا مجاوزة حد وإن أكثر وأوفي، فتستوي حالتاهما في المغيب والمشهد، ولا يكون مغيبهما أفضل من مشهدهما وأولى، فإن فضل المشهد على المغيب لؤم، وفضل المغيب على المشهد كرم، وإستواؤهما حفاظ.

وقال بعض الشعراء:.

علي لإخواني رقيب من الصفا ... تبيد الليالي وهو ليس يبيد

يذكرنيهم في مغيبي ومشهدي ... فسيان منهم غائب وشهيد

وإني لأستحي أخي أن أبره ... قريباً وأن أجفوه وهو بعيد

(١) أدب الدنيا والدين (ص/٢١٧-٢١٩) لأبي الحسن علي بن مُحَمَّد حبيب البصري الماوردي. ط: القاهرة. تحقيق: مُحَمَّد فتحي أبو بكر.

٢- الإقلال من الزيارة

قال الماوردي[١]

وهكذا يقصد التوسط في زيارته وغشيانه، غير مقلل ولا مكثر، فإن تقليل الزيارة داعية الهجران وكثرتها سبب الملال، وقد قال النبي ﷺ لأبي هريرة ﷺ " يا أبا هريرة زر غباً تزدد حباً "[٢].

وقال لبيد الشاعر:.

توقف عن زيارة كل يوم إذا أكثرت ملك من تزور

فإذا زار المرء أهله واصدقاؤه يوماً وترك يوماً، أو أسبوعاً وترك أسبوعاً فقد زار غباً وقد خلق الإنسان ملولاً، يسأم المنظر الواحد، ويزهد لون الطعام الواحد، إذا بعد عن الشيء إشتاق إليه وإذا حرمه تلهف عليه، يفارق أهله فتشتد رغبتهم في رؤيته فإذا عادو وأطفأ وامنه شوقهم، أصبح لا يثير شوقاً ولا لهفة، ولكي يزيد حب المرء للشيء ينبغي تركه حيناً، فتحسن النفس إليه حنيناً، ولذلك

يقال:" زر غباً تزدد حباً ".

وقال الشاعر:.

عليك بإغباب الزيارة إنها إذا كثرت كانت إلي الهجر مسلكاً

وقال آخر:.

أقلل زيارتك الصديق ولا تطل هجرانه فيلج في هجرانه

إن الصديق يلج في غشيانه لصديقه فيمل من غشيانه

حتي يراه بعد طول سروره بمكانه متثاقلاً بمكانه

وإذا تواني عن صيانة نفسه رجل تنقص واستخف بشانه

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص/٢١٨).

(٢) الحديث رواه البخاري في الأدب المفرد، وقد صار هذا المثل مضرب الأمثال.

٣- وإحذر كثرة العتاب

وبحسب ذلك فليكن في عتابه، فإن كثرة العتاب سبب للقطيعة، وإطراح جميعه دليل على قلَّة الإكتراث بأمر الصديق. وقد قيل:" علة المعاداة قلة المبالاة ".

بل تتوسط حالتا تركه وعتابه، فيسامح بالمتاركة ويستصلح بالمعاتبة، فإن المسامحة والإستصلاح إذا إجتمعا لم يلبث معهما نفور، ولم يبق معهما وجد.

وقد قال بعض الحكماء:.

لا تكثيرن معاتبة إخوانك، فيهون عليهم سخطك.

وقال منصور النمري:.

أقلل عتاب من إستربت بوده ليست تنال مودة بعتاب

وقال بشار بن برد:.

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

وإن أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

فعش واحداً أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه

٤- واقتصد في المزاح

قال العلامة مُحَمَّد الغزي العامري[١] (ت سنة ٩٨٤هـ) رحمه الله تعالى:.

فالعاقل يتوخى بمزحه إحدى حالتين: إما إيناس المصاحبين، والتودد إلى المخاطبين، وهذا يكون بما أنس أنس من جميل القول، وبسط من مستحسن الفعل كما قال سعيد بن العاص[٢] لابنه: إقتصد في مزحك فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجريء السفهاء، وإن التقصير فيه يغض عنك المؤانسين ويوحش منك المصاحبين.

---

(١) المراح في المزاح (ص/١٠-١٢) للعلامة بدر الدين أبي البركات مُحَمَّد الغزي (٩٠٤-٩٨٤هـ).

(٢) أبو عثمان سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص الأموي. صحابي من الأمراء الفاتحين (٣-

وإما أن ينفي بالمزاج ماطرأ عليه من سأم، أو حدث من سأم، أو حدث به من هم وغم فقد قيل: لابد للمصدور أن ينفث.

وأنشد أبو نواس:.

أروح القلب ببعض الهزل تجاهلاً مني بغير جهل

أمزح فيه مزح أهل الفضل والمزح أحياناً جلاء العقل

وأنشد أبو الفتح البستي[1]:.

أفد طبعك المكدود بالجد راحة يجم وعلله بشيء من المزح

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

قال الأبيرد[2]:.

إذا جد عند الجد أرضاك جده وذو باطل إن شئت الهاك باطله

وقال أبو تمام[3]:.

الجد شيمته وفيه فكاهة طوراً ولا جد لمن لم يلعب

وعلى هاتين الحالتين كان مزح رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعيه والعلماء والأئمة.

٥٣هـ) كان مشهوراً بالكرم والبر حليماً وقوراً ومن كلامه: لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا تمازح الدنيء فتهون عليه. ترجمته في: طبقات ابن سعد (٣٧٢/٥) وجمهرة الأنساب (٢٥٤)، والإصابة (ت/٥٤٤٣).

(١) أبو الفتح البستي شاعر عصره وكاتبه ومؤرخه ولد في بست ومات سنة ٤٠٠هـ. ترجمته في: وفيات الاعيان (٣٦٥/١)، والبداية والنهاية (٢٧٨/١١)، وييمة الدهر (٢٠٤/٤).

(٢) الأبيرد بن المعذر الرياض شاعر أديب (ت سنة٦٨هـ) راجع الأغاني (٩/١٢-١٥)، وسمطاللآلي (٤٩٤).

(٣) الشاعر حبيب بن أوس (١٩٠هـ -٢٣١) أنظر: وفيات الأعيان (١٢١/١).

٥- والحذر من الإسراف والبخل

قال تعالى محذراً من الإسراف في الطعام والشراب "وكلوا وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " (الأنعام/١٤١).

وحذر من الإسراف من النفقة فقال " وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا " (الفرقان/٦٧).

ويقول " وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا " (الإسراء/٢٦).

" إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُور " (الإسراء /٢٧).

" وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا " (الإسراء /٢٩).

وقد قال المأمون رحمه الله تعالى:" لا خير في السرف، ولا سرف في الخير ".

وقال بعض الحكماء: صديق الرجل قصده، وسرفه عدوه.

وينبغي على المرء أن يعلم أن

الشجاعة: وسط بين الجبن والتهور.

والكرم والجود: وسط بين الإسراف والبخل.

والمروءة: وسط بين الدناءة والطيش.

واللين: وسط بين الضعف والقسوة.

والحياء: وسط بين الوقاحة والضعة.

والحلم: وسط بين الجهل والفتور، والبرود.

فالقصد..القصد، وخير الأمور أوساطها.

٦- قضيَّة العزلة بين التطرف والوسطيَّة [١]

لزوم القصد في حالتي العزلة والخلطة

قال أبو سليمان الخطابي (ت سنة ٣٨٨هـ) رحمه الله تعالى. في كتابه النفيس " العزلة:

قد إنتهى منا الكلام في أمر العزلة إلى حيث شرطنا أن نبلغه، وأوردنا فيها من الأخبار ما خفنا أن يكون قد حسنا معه الجفاء من حيث أردنا الإحتراز منه، وليس إلى هذا أجرينا ولا إياه أردنا. فإن الإغراق في كل شيء مذموم، وخير الأمور أوسطها، والحسنة بين السيئتين.... قال علي بن غنام: لا طرفي القصد مذموم.

وأنشدنا أبو سليمان:.

ولا تغل في شيء من الأمر إقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

تسامح ولا تستوف حقك كله وأبق فلم يستوف قط كريم

قال أبو سليمان: والطريقة المثلى في هذا الباب أن لا نمتنع من حق يلزمك للناس وإن لم يطالبوك به، وأن لا تنهمك لهم في باطل لا يجب عليك وإن دعوك إليه فإن من إشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعينه، ومن دخل في الباطل جمد عن الحق.

فكن مع الناس في الخير، وكن بمعزل عنهم في الشر، وتوخ أن تكون فيهم شاهداً كغائب، وعالماً كجاهل. روي أبو سليمان بسنده عن ابن المبارك عن وهيب بن الورد

قال: قلت لوهب بن منبه: إني أريد أن أعتزل الناس!. فقال لي: لابد لك من الناس وللناس منك لك إليهم حوائج، ولهم إليك حوائج، ولكن كن فيهم أصم سميعاً، أعمى بصيراً، سكوتاً نطوقاً.

---

(١) العزلة (ص/١٢٥-١٢٧). بتصرف لأبي سليمان الخطابي.رحمه الله تعالى.

وقال أكثم بن صيفي: الإنقباض عن الناس مكسبة للعداوة. ومرافقتهم مكسبة لقرين السوء. فكن للناس بين المنقبض والمقارب فإن خير الأمور أوساطها. وعن وهب بن منبه يقول: إني وجدت في حكمة آل داود حق على العالم أن لا يشغل عن أربع ساعات.

ساعة ناجي فيها ربه،

وساعة يحاسب فيها نفسه،

وساعة يقضي فيها إلى إخوانه الذي يصدقونه عيوبه وينصحونه في نفسه،

وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذاتها مما يحل ويجمل فإن هذه الساعة عون لهذه الساعات.ا.هـ.

الفصل الثالث
نقد نظرية الوسطية في الأخلاق عند علماء المسلمين مع المقارنة بالمنهج الأرسطي

كتب الأستاذ علال الفاسي[1] رحمه الله تعالى في نقد نظرية الوسطيَّة في فلسفة الأخلاق، كما نقدها الأستاذ الأديب عباس العقاد[2]أيضاً في ذلك، كما كتب الدكتور أحمد الحوفي[3] مقالاً ضافياً في ذلك، وفي كلامه سقطات سوف نعرض لها في حينه إن شاء الله تعالى، وسوف نعرض أولاً مذاهب علماء الأخلاق المسلمين مقارناً بالمذهب الأرسطي ثم نعلق على هذا النقد كما سيأتي:.

١- الوسطيَّة عند أرسطو[4] (٣٢٢- ٣٨٤ ق.م)

قال أرسطو:" إنَّ الوسط بالنسبة إلى شيء ما: هو النقطة التي على بعدين متساويين من كلا الطرفين، والتي هي واحدة بعينها في كل الأحوال أما بالإضافة إلى الإنسان، فالوسط هو الذي لا يعاب، لا بالإفراط ولا بالتفريط وكل إنسان عالم وعاقل يجهد نفسه في اجتناب الإفراط من كل نوع، سواء أكان بالأكثر أو بالأقل، ولا يطلب إلا الوسط القيم، ويفضله على الطرفين. ولكن هذا الوسط ليس وسط الشيء عينه، بل

---

(١) " مقاصد الشريعة ومكارمها" (ص/٤٥-٤٦).

(٢) " حقائق الإسلام وأباطيل خصومه" (ص/٢٨٥-٢٨٦).

(٣) " مجلة الوعي الإسلامي " (ص/٣٩-٤٥) عدد "٣٩" السنة الرابعة. عدد غرة ربيع أول سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

(٤) علم الأخلاق (١/٢٤٥) أرسطو.

الوسط بالنسبة إلينا، وأنا أعني بالكلام هنا الفضيلة الأخلاقية، لأنها هي التي تختص بإنفعالات الإنسان وأفعاله.

فالفضيلة نوع وسط، ما دام الوسط هو الغرض الذي تطلبه بلا إنقطاع، ثمَّ ضرب أرسطو أمثلة للحد الوسط، فقال (١): إن الإعتدال أو العفة وسط بين الفجور والخمود، والسخاء وسط بين الإسراف والبخل، والكبر وسط بين الوقاحة والضعة، والحلم وسط بين الفتور والشراسة، والصدق وسط بين الإدعاء والمبالغة، وبين التعمية، والبشاشة وسط بين الفظاظة والسخرية، والصداقة وسط بين الملق والشراسة.

قال أحمد الحوفي (٢):

ولقد أعجب بهذا المذهب كثير من العلماء، وجاراه بعض فلاسفة المسلمين، ولعل مرد هذا إلى مكانة أرسطو، وإلى أن مذهبه هذا يدعو إلى الإعتدال، والإعتدال خُلَّة يرضاها الإسلام، ويحمدها الناس، لأنَّه يدل على الإتزان، وعلى سلامة التقدير، وصواب التدبير، والبعد عن الشطط.

---

(١) علم الأخلاق (١/٢٥٠-٢٧٥).

(٢) "مجلة الوعي الإسلامي " (ص/٤٠) العدد"٣٩" سنة ١٣٨٨هـ.

٢- الوسطيَّة عند الغزالي(١)

(٤٥٠/٥٠٥هـ) (١٠٥٨/١١١١م)

ذهب الغزالي، إلى أن أمهات الإخلاق وأصولها أربعة (٢):.

الحكمة . الشجاعة . العفة . العدل.

وقال: إنَّ المراد

بالحكمة: حالة للنفس تدرك بها الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الإختيارية.

وأما العدل: فهو حالة للنفس وقوة بها، تسوس الغضب والشهوة، وتحملها على مقتضى الحكمة.

وأما الشجاعة: فهي إنقياد قوة الغضب للعقل في إقدامها وفي إحجامها.

وأما العفَّة: فهي تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع.

فمن إعتدال هذه الأصول الأربعة ،

---

(١) أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي، الملقب بحجة الإسلام، ولد بقرية (غزالة) وإليها نسب. من قري طوس بخراسان سنة (٤٥٠هـ /١٠٥٨م) لأب كان يتخذ دكاناً لنفسه يغزل فيه الصوف ويبيعه، وبها تعلم الكتابة والخط، ثم مضي إلي نيسابور، وتتلمذ هناك علي إمام الحرمين " الجويني"، فلقيت الأنظار إليه بذكائه وفطنته وحاضر بديهته. لقيه الوزير نظام الملك فأعجب به، وحل من نفسه محلاً عظيماً وولاه التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد سنة (٤٨٤هـ)، طاف الغزالي بكثير من البلاد الإسلامية، فحج وإنصرف إلي دمشق وبقي بها مدة، وفيها ألف بعض كتبه ومنها "إحياء علوم الدين" كما زار القدس والإسكندرية. والغزالي: شخصية متعددة المواهب فهو إمام متكلم، وفليسوف، وعالم أخلاقي، وفقيه مجتهد، ومتصوف زاهد وتوفي الغزالي سنة (٥٠٥هـ/١١١١م) وله مائة كتاب في العلوم العقلية والدينية أهمها: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، الرد علي الباطنية.

(٢) إحياء علوم الدين (٤٦/٢).

فمن الحكمة :تصدر الأخلاق الجميلة كلها، إذا من إعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير، وجودة الذهن، وثقابة الرأي، وغصابة الظن، والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس، ومن إفراطها تصدر الجريرة [١] والمكر والدهاء، ومن تفريطها يصدر البله [٢] والحمق والجنون

وأما الشجاعة: فيصدر منها الكرم والنجدة، والشهامة والإحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها، وإفراطها وهو التهور يصدر منه الصلف والبذخ والتكبر والعجب، وتفريطها تصدر منه المهانه والذل والجزع والخسه وصغر النفس والإنقباض عن تناول الحق الواجب.

وأما العفَّة: فيصدر منها السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والظرف وقلة الطمع، وميلها إلى الإفراط أو التفريط يحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقصير، والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للأغنياء، وإستحقار الفقراء وغيرها

فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربع وهي:.

الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل والباقي فروعها، ولم يبلغ كمال الإعتدال فيها إلا رسول الله ﷺ.

وقال الغزالي[٣] " إنَّ الإمساك حيث يجب البذل بخل، وأن البذل حيث يجب الإمساك تبذير، وبينهما وسط هو المحمود، وهو الجود او السخاء أو الكرم، وإذا لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا به.

وقد قال تعالى:

---

(١) الخبث والخداع.

(٢) الغفلة.

(٣) إحياء علوم الدين (٣/٢٢٥).

" وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ " (الإسراء /٢٩).

وقال تعالى " وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا " (الفرقان /٦٧).

فالجود وسط بين الإسراف والإقتار وبين البسط والقبض.

وردد الفكرة نفسها في كتاب آخر [١] فقال:.

إنَّ الحكمة : فضيلة القوة العقلية، والشجاعة فضيلة القوة الغضبية، والعفة فضيلة القوة الشهوانية، والعدالة: وقوع هذه القوي على الترتيب الواجب.

وذكر أنَّ الحكمة وسط بين رذيلتين هما الخب [٢] والبله، وهما طرفا إفراطها وتفريطها،

وأنَّ الشجاعة وسط بين التهور والجبن،

والعفة وسط بين الشره[٣] والخمود. ثمَّ عقب على هذا بأن

العدل لا تكتنفه رذيلتان، بل إن رذيلة الجور هي المقابلة له، وهكذا جعل يطبق مذهب الوسطيَّة، فالكرم وسط بين البذخ والشح،

والنجدة وسط بين الجارة والجبن،

وكبر النفس وسط بين التكبر وصغر النفس،

والحلم وسط بين الإستشاطة والبلادة

والوقار وسط بين الكبر والتواضع [٤].

---

(١) ميزان العمل (٦٧-٧٤) للغزالي.

(٢) الخداع.

(٣) إفراط الشهوة.

(٤) ميزان العمل (ص/٧٥).

٣- الوسطيَّة عند ابن مسكويه[١](٤٢١.٣٢٠هـ)=(١٠٣٠.٩٣٢م)

كذلك رأى ابن مسكويه أنَّ الفضائل أوساط بين أطراف، وتلك الأطراف هي الرذائل، ثمَّ قال: إنه من الصعب وجود الوسط، وأن التمسك به بعد وجوده أصعب، ولذلك قالت الحكماء: إصابة نقطة الهدف أعسر من العدول عنها، ولزوم الصواب بعد ذلك حتي لا يخطئها أعسر وأصعب غير أنَّه مع هذا جعل يطبق النظرية كما طبقها سواه من علماء الأخلاق المسلمين.

نقد علال الفاسي لنظرية الوسطية في الاخلاق

قال علَّال الفاسي [٢] رحمه الله (١٣٢٦-١٣٩٤هـ /١٩٠٨-١٩٧٤م):.

وإعتبار الخلق أو الفضيلة وسطاً بين طرفي الإفراط والتفريط، ليس قاعدة إسلاميَّة مسلمة، وإنما هي نوع من التحليل اليوناني لفلسفة الأخلاق إقتبسه بعض الأخلاقيين الإسلاميين؛ لأنَّه أقرب إلى ما يوضح فكرة الآداب العامة عند المسلمين، وليس في

---

(١) تهذيب الاخلاق (ص/٢٠) لإبن مسكويه، واسمه: أبو علي أحمد بن مُحَمَّد بن يعقوب المعروف "بابن مسكويه"(٣٢٠-٤٢١)=(٩٣٢-١٠٣٠م) وقد طبع كتابه " تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق " في القسطنطينية عام (١٢٩٨-١٢٩٩هـ)، وفي القاهرة عام (١٣٥٧م) و هو فيلسوف ومؤرخ وشاعر فارسي بارز من أبناء مدينة الري في إيران الحالية. كان ناشطاً في الميدان السياسي زمن الدولة البويهية، حيث كان موظفاً رسمياً في تلك الدولة وعمل في بغداد وأصفهان ومدينة الري. لمع نجمه في الفلسفة حتى لقبه البعض بالمعلم الثالث، ويعتبر ابن مسكويه أول عالم مسلم بارز درس الأخلاق الفلسفية من وجهة نظر علمية وذلك في كتابه تهذيب الأخلاق والذي ركز فيه على الأخلاق والمعاملات وتنقية شخصية الإنسان

(٢) " مقاصد الشريعة ومكارمها " للأستاذ علال الفاسي (ص/٤٥-٤٦).

الإسلام ما يجعل التجاوز والسمو في الخلق مذموماً؛ فالمؤمنون درجات، كل يعمل على أن يرتقي في معارج السالكين إلي أن يصل إلى أعلى درجات اليقين المحبة، وهم يقولون: إنَّ الولاية لله لا تحد مراتبها، وكل يعمل للوصول إلى أسمى منازلها دون أن ينال ذلك، والكمال لا نهاية له، وهل يعقل أن يقال لمن أنفق جميع ماله في سبيل الله إنَّه مبذر، أو إنه إرتكب مذموماً؟ أرأيت أبا بكر الصديق ﷺ وقد جاء بكل ماله ووضعه بين يدي رسول الله

ﷺ نفقة في سبيل الله، فدعا له النبي ﷺ وقال بارك الله لك في أهلك ومالك. فهل كان بذلك مسرفاً متجاوزاً للحد في الإنفاق؟ وإنَّما يقال ذلك في مجال الإنفاق الشخصي، أما في مجال الخير والتسابق فإنه لا إسراف فيه ولا تبذير، بينما لو أنفق درهماً واحداً في وجه غير مشروع لكان ذلك يبذيرا مذموماً منهياً عنه.وكذلك خلق الشجاعة، أليست هي بذل النفس في سبيل الخير،أو الإقدام والجرأة؟ فهل يقال إن الشجاعة جزء من الجبن أو التهور حتي تكون وسطاً أو طرفاً؟ وقد علمنا أنَّ الوسط هو بعض ما يضاف إليه؛ فإن وسط الدار جزء منها .كما تقدم . فلو كانت الشجاعة وسطاً بين الجبن والتهور لكانت جزءاً من الجبن والتهور.ا.هـ.

نقد عباس محمود العقاد للنظريَّة

قال الأستاذ عبَّاس محمود العقاد (١٣٠٦-١٣٨٣هـ /١٨٩٩-١٩٦٤م):.

ومذهب الفلسفة اليونانية ينتهي بنا إلى مقياس للأخلاق شبيه بمقاييس الهندسة والحساب؛ بعيداً عن تقدير العوامل النفسية والقيم الروحية؛ في الأخلاق العليا علي التخصيص، وقد تصدق هذه الفلسفة إذا كان المطلوب من الإنسان أن يختار بين رذيلتين محققتين، فإنَّه في هذه الحالة يحسن الإختيار بين طرفين متقابلين كلاهما مذموم ومتروك، إلا أننا لا نقول مع ذلك: إنَّ الكرم نقص في رذيلة البخل أو نقص في رذيلة

السرف، ولا نقول مع ذلك: إنَّ الكرم إذا زاد أصبح مسرفاً، وإنَّ السرف إذا نقص أصبح كرماً بل تكون الزيادة في الكرم كرماً كبيراً، والنقص في السرف سرفاً قليلاً ولا يكون الكرم أبداً درجة من درجات السرف، ولا البخل درجة من درجات الكرم، بل هي أخلاق متباينة في القيمة، يتقارب الطرفان فيها أحدهما من الآخر؛ ولا يتقارب الطرف من الوسط كما يظهر من قياس الهندسة أو قياس الحساب. ولقد رأينا في مباحث العلل النفسيَّة التي كشفها العلم الحديث أنَّ الشذوذ يقرب بين المسرفين والبخلاء في أعراض متشابهة... ولن يشذ الإنسان عن الإعتدال في الطبع إذا هو آثر أن يذهب في كل فضيلة إلى نهايتها القصوي؛ فماذا يعاب في جمال الوجوه مثلاً، إذا إنتهى إلى مثل تلك الغاية في معهود البصائر؟

إنَّ كلمة من كلمات اللغة العربية العامرة بمدلولاتها النفسية والفكريَّة لتهدينا إلى قسطاس الحمد في كل حسنة مأثورة بكلمة (ناهيك)؛ حين نقول: ناهيك من رجل، أو ناهيك من عمل، أو ناهيك من خلق! هو قسطاس الثناء فيما تنشده النفوس الإنسانية من كل فضل منشود[1].ا.هـ.

(١) " حقائق الإسلام وأباطيل خصومه"، عباس محمود العقاد (ص/٢٨٥-٢٨٦).

نقد الدكتور أحمد الحوفي رحمه الله تعالى

(١٣-١٤هـ =١٩١٠م-١٩٨٣م)

قال الدكتور أحمد الحوفي [١] رحمه الله تعالى:. لكن هذه النظرية . على قدمها وذيوعها . ليست سليمة من القصور والعيوب.

١- ولقد يتضح قصورها إذا ما طبقناها على كل فضيلة من الفضائل، فالشجاعة مثلاً ليست وسطاً بين التهور والجبن، وإن كان التهور رذيلة والجبن رزيلة، بل الشجاعة فضيلة حيثما كانت وكيفما كانت، مادامت سنداً للحق، ودفاعاً عن العرض والمال والحياة، وحماية الضعفاء من جبروت الطغاة وعدوان الأقوياء.

ولن تكون الشجاعة في حال من أحوالها مذمومة، ولن تكون في مجاوزتها الحد المألوف رذيلة توصف بالتهور كما يقول دعاة الوسطيَّة، بل التهور رذيلة؛ لأنه حمق وخرق وخطل في التدبير وعجز عن ضبط النفس وغفلة عن الحزم وعن تدبر العواقب.

---

(١) أحمد محمَّد الحوفى هو من أبرز أساتذة الإعلام فى مجال الدراسات الأدبية واللغوية الذين شاركوا مشاركة فعالة فى توطيد دعائم الصرح الثقافى العربى الإسلامى فى ربط الأمة العربية بعضها ببعض بمؤلفاته ومقالاته ومحاضراته كما أن كثيراً من الهيئات الأدبية أشركته فى عضويتها و لجانها ومؤتمراتها ومحافلها، كما حرصت جامعات مصر والأمة العربية على الانتفاع بعلمه وخبرته فاختارته أستاذاً معاراً وأستاذاً زائراً ومشرفا على عشرات من رسائل الماجستير والدكتوراه كذلك كتب في المجلات الأدبية المتنوعة فى مصر والعالم العربى فى موضوعات شتى واستعانت به الإذاعة والتليفزيون فى كثير من البرامج الأدبية والثقافية.

والكلام منشور في " مجلة الوعي الإسلامي" ص (٤٢) مرجع سابق.

ليست الشجاعة دائماً ألا يخاف المقدم، فإنها كما تكون في الإقدام تكون في الإحجام، وكما تكون في الإستهانة بالمخاوف تكون في توقي بعض المخاوف، وفي تقديرها، وفي التغلب عليها، لا للإستكانة لها.

وهذه الشجاعة درجات، أولها فضيلة، وعلياها فضيلة، بل أفضل الفضيلة، وهي الفداء والبطولة والإستشهاد، وكذلك الكرم تتفاوت درجاته من جود بالقليل إلى جود بالكثير إلي بذل للأكثر إلى سخاء بالمال كله، ولكل حالة من هذه الحالات بواعثها وأهدافها السامية.

فقد يجود الشخص في سبيل الخير بالعشرة أو بالمئة وتسمي كريماً، لأنَّ طاقته لا تحتمل أكثر من هذا، أو لأنَّ الصالح العام لا يوجب عليه فوق هذا. وقد يجود شخص بالآلاف أو بمئات الآلاف، ولا يُسمَّى مسرفاً، لأن ثراءه يتسع لهذا السخاء وتقتضيه.

على أنَّ هذا الشخص أو ذاك يوصف بالإسراف إذا بذل المال القليل في عبث لا يمت إلى الخير بسبب، أو أنفق أقل القليل في معصية الناس أو إضرار الناس، وهل يستطيع الناس أن يصفوا بالإسراف غنياً لا وارث له يخرج عن ماله كله للفقراء، أو يشيد به مدرسة أو مسجداً أو مصنعاً، أو يشتري به سلاحاً للدفاع عن الوطن؟.

إن هذا الغني لا يوصف إلا أنَّه بلغ ذروة الأريحية والسخاء. وهل يستطيع أحد أن يصف بالتهور البطل المقدام الذي يستهين بالحياة ليفتدي دينه أو وطنه أو عرضه؟.

وهذا الذي نقوله في نقد الوسطية في الفضائل كلها، نقوله مثله في نقدها في الرذائل كلها، كالجبن والبخل والفجور وغيرها.

تحديد الوسط صعب

٢- على أن نقطة بين الرذيلتين لا يمكن تحديدها، فكيف تعرف؟ ومن الذي يحكم بأن هذه النقطة هي الإعتدال دون غيرها؟ وهل الوسط بين رذيلتين محدود، أو ممكن التحديد، مثل منتصف طريق معروف الطول؟ وأين ذلك المقياس الذي يعين المنتصف الذي عناه أرسطو وسواه؟.

وإنَّه ليسترعي النظر حيرة أرسطو في تعيين الوسط، فقد ذكر:. أنَّ إدراك الوسط في كل شيء أمر صعب جداً، كما أن إستكشاف مركز دائرة لا يتيسر لجميع الناس، ولهذا كان على من يريد إصابة ذلك الوسط أن يبتعد عن الرذيلة التي هي أشد ما تكون تضاداً مع هذا الوسط، لأن هذين الطرفين أحدهما أكبر إثماً والآخر أقل(١).

وقد سبق قول ابن مسكويه أنَّه من الصعب جداً وجود الوسط، وأن إصابة نقطة الهدف أعسر من العدول عنها.

٣- ونستطيع أن نفهم كلام أرسطو نفسه أن الوسط متنقل غير ثابت ولا محدد، فهو تارة يقول:.

"أن المراد الوسط بالنسبة لنا (٢)" وتارة يقول:. " أنَّ بعض الأطراف تشبه الوسط، فالتهور به بعض شبه بالشجاعة، والسرف به شبه بالسخاء، ولكن المفارقة الكبري تتبين بين بعض الأطراف وبعض (٣)".

٤- فإذا ما راعينا أنَّ الفضيلة ليست دائماً متساوية البعد عن الطرفين تبين لنا أن الوسط بين رذيلتين ليس هو الفضيلة، لأنَّ الشجاعة أبعد عن الجبن من بعدها عن

---

(١) " علم الاخلاق " (٢٦٢/١) لأرسطو.

(٢) " علم الأخلاق " (٢٤٥/١).

(٣) " علم الأخلاق " (٢٥٩/١).

التهور، والكرم أقرب إلى جانب الإسراف منه إلى جانب البخل، والعفة أدني إلي الخمود منها إلى الفجور وهكذا.

٥- على أن بعض الفضائل لا يتحقق فيها أنها أوساط بين رذائل، فالصدق ليس وسطاً بين الكذب وشيء آخر، إنما الصدق صدق فحسب، والكذب كذب فحسب، والعدل ليس وسطاً بين الجور وشيء آخر، بل العدل عدل خالص والجور جور خالص، والعفة ليست وسطاً بين الفجور والخمود، بل العفة هي العفة.

وقد ذكر أرسطو [١] " أن الوسط القويم بين طمع غال في المجد وقعود تام عن المجد ليس له اسم خالص، وذكر أن الصدق ليس وسطاً بين رذيلتين [٢]، وحار في التواضع فلم يعده فضيلة[٣]، ولعلنا ما زلنا نذكر أن الغزالي . وهو من دعاة نظرية الوسط . جهر بأن العدل لا تكتنفه رذيلتان، وقال:

" إن الرذيلة المقابلة للعدل هي الجور ".

---

(١)" علم الاخلاق " (٢ /٣٢).

(٢) " علم الأخلاق " (٤٣/٢).

(٣) " علم الأخلاق " (٢٥٠/١).

الوسطيَّة تعرف بالشرع

قال الحوفي [1] إن تحديد الوسط صعب ولا يمكن الإتفاق عليه. ا.هـ.

قلت: هذا كلام غير دقيق، ولكي نعرف الوسط " لا نخضع للأهواء أو التقديرات[2] الذاتية وإنما تعرف الوسطيَّة بالشرع، وقد تعرف بالعوائد وما يشهد به معظم العقلاء، وإذا كنا قد ألمحنا إلى معاني الوسطيَّة ووجوه استعمالها، فإن ذلك يشير إلى أن الوسطيَّة هي كون الإنسان في دائرة المشروع، وهي الخير والعدل، فإذا وقف المرء دون هذه الدائرة ولم يعمل فيها كان مقصراً مفرطاً، وإذا تجاوزها كان مفرطاً مغالياً متطرفاً إلى الجهة الأخرى المذمومة، فليس معنى الوسطيَّة ـ إذن ـ أن يكون الإنسان دائماً في نقطة الوسط المادي بين جهتين أو صفتين، فقد يتعدى هذه النقطة ليصل إلى ما هو أعلى منها دون أن يخرجه ذلك عن دائرة الوسطيَّة، وليس هناك ما يمنع شرعاً من تجاوز العدل إلى الفضل، بل هنا ما يحمل أصحاب النفوس العالية والهمم القوية على الإرتقاء دائماً والسمو والتطلع نحو الآفاق العالية الكبيرة التي لا يستطيعها المهازيل أو ضعاف النفوس، ويحملهم ايضاً على الإستكثار من الأعمال الصالحة والتمسك بأحكام الكتاب والسنة " ا.هـ.

---

(١) " الوعي الإسلامي " مرجع سابق.

(٢) " مجلة البيان " عدد"١٦٧". مقال د. عثمان جمعة ضميرية (وسطية الإسلام والأمة المسلمة) (ص/١٤).

مناقشة الحوفي في نقده لنظرية الوسطيَّة

تعسف الدكتور الحوفي في نقده لنظرية الوسطية في الاخلاق وجعل الآيات القرآنية التي تحدثت عن الوسطية محلاً للشبهات بتفسيرات ركيكة جانبه فيها الصواب وكما وضحنا أن الوسطيَّة في الأخلاق لا تقاس بالمعادلات الرياضيَّة كما في التحليل اليوناني، ولكن الوسطيَّة والتوازن إنما تُعرف بالشرع فهو يدور في دائرة الشرع والعدل وإن كان أحمد الحوفي ـ رحمه الله ـ حاول جاهداً أن يتمادى في نقده بما ينسف أساس النهج ذاته.

قال رحمه الله تعالى[1] تحت عنوان " شبهة وردها ":. وقد يتبادر إلى الخاطر أنَّ في بعض الآيات القرآنية مدحاً للوسط بذلك المعني ودعوة إليه:. فالكرم مثلاً وسط بين البخل والإسراف لقوله تعالى :

" وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا " (الإسراء /٢٩).

لكن هذا الفهم غير صحيح، لان الآية الكريمة مسبوقة بقوله تعالى " وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا " (الإسراء /٢٦-٢٩).

ومعنى هذا أنَّ الله سبحانه أمر عباده بصلة أقاربهم وبصلة المساكين وأبناء السبيل، بعد أن أمرهم في آية سابقة ببر آبائهم وأمهاتهم، ثمَّ نهاهم عن التبذير وهو الإنفاق في المعاصي، وفي غير الحق، ونهاهم عن التقتير وهو البخل بالمال في الخيرات والطاعات، وهذا المعنى الذي روي عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود ومجاهد،

(١) " مجلة الوعي الإسلامي " عدد "٣٩" السنة الرابعة سنة ١٣٨٨هـ = مايو ١٩٦٨م.

وقتادة وابن زيد. أما الإنفاق في الخير وفي الحق فقد قال فيه مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق ما كان تبذيراً، ولو أنفق مداً في باطل كان تبذيرا [١].

قال الحوفي:. " وروي عنه قوله " لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهباً في طاعة الله ما كان إسرافاً ولو أنفقت صاعاً في معصية الله كان إسرافاً " [٢].

إذن فقد نهى الله عن البخل في الحقوق التي أوجبها على الأغنياء في أموالهم، ونهى عن السفه في الإنفاق، لأنَّ السفيه بإتلافه لن يجد ما ينفقه على نفسه، فيما بعد، ولن يجد ما يعطيه إذا أراد العطاء، فيلوم نفسه ويلومه غيره على أنَّ بعض المفسرين ذهب إلى أن المراد بالبسط إنفاق المال في المعاصي، وفيما لا ينبغي إنفاق المال فيه [٣] .

والذي يصحُّ إستنباطه من هذا أن القرآن الكريم أمر بفضيلة هي الجود بالمال على المحتاجين من الأقرباء والمساكين وأبناء السبيل، وفي إعزاز الدين وحمايته والدفاع عنه، ونهى عن رذيلة هي: البخل وعن رذيلة أخرى هي الإسراف، قال تعالى " كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " (الانعام /١٤١).

فليس في الآيات ما يفهم منه أن الكرم وسط بين رذيلتين، بل الذي يفهم أن القرآن نهى عن رذيلتين هما البخل والإسراف، وبين هاتين الرذيلتين درجات من الكرم تختلف بإختلاف مقدرة المنفقين، فقد يكون إنفاق شخص معتدلاً وهو أقرب إلى البذل

---

(١) " تفسير الطبري " (٥٣/١٥).

(٢) " تفسير الطبري " (٢٣/١٩).

(٣) " تفسير الطبري " (٥٦/١٥)، وقد علق محرر المجلة علي كاتب هذه النقطة في أجلي بيان وبين فساد هذا التفسير فقال (ص/٤٤) يضعف هذا التفسير أن الله يقول " وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ " ومعني هذا ـ طبقاً لمفهوم المخالفة ـ أن يبسطها بعض البسط، وهذا يؤدي إلي جواز إنفاق شيء من المال في المعاصي ، وهو فاسد.ا.هـ.

الكثير، وربما يسخو الشخص بماله كله في نصرة الحق والخير وهو براء من التبذير، وعلى غرار هذا الفهم ينبغي تفسير قوله تعالى " وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً " (الفرقان /٦٧) ،لأن القوام هو الإستقامة والإعتدال.ا.هـ.

مناقشة قضيَّة الإنفاق في السنة النبويَّة

والجواب على ما سبق: قال الحوفي " على أن بعض المفسرين!! ذهب إلى أنَّ المراد بالبسط إنفاق المال في المعاصي وفيما يسخط الله تعالى وفيما لا ينبغي إنفاق المال فيه " ا.هـ.

وقد رد عليه محرر المجلة ووضح فساد وشذوذ هذا التفسير في أجلى بيان قال:. يضغف هذا التفسير أن الله يقول " وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ " ومعني هذا . طبقاً لمفهوم المخالفة . أن يبسطها بعض البسط، وهذا يؤدي إلى جواز إنفاق شيء من المال في المعاصي،وهو فاسد ا.هـ.

ولا بد أن نوضح بالتفصيل قضية التبذير أو الإسراف في الإنفاق ونوضح شرح الآية طبقاً للسنة النبوية وكما شرحها أهل العلم وأئمة الهدى ونبين تسرع المؤلف في نسف قضية الوسطيَّة مع إقراره في بداية المقال أن النظرية بها بعض القصور والعيوب.

قال تعالى " وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً " (الإسراء /٢٦-٢٧).

روي مسلم والبخاري عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال:." إنَّ الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، ووأد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال، وإضاعة المال "

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني [1] في الفتح في الكلام على إضاعة المال:. الأكثر حملوه على الإسراف في الإنفاق، وقيَّده بعضهم بالإنفاق في الحرام، والأقوى أنَّه ما أنفق في غير وجهه المأذون فيه شرعاً، سواء كانت دينية أو دنيوية، فمنع منه لأنَّ الله تعالى جعل المال قياماً لمصالح العباد، وفي تبذيرها تفويت تلك المصالح، وإما في حق مضيعها وإما في حق غيره، ويستثنى من ذلك كثرة إنفاقه في وجوه البر، لتحصيل ثواب الآخرة، ما لم يفوت حقاً أخروياً أهم منه.

والحاصل في كثرة الإنفاق ثلاثة أوجه:.

الأول:. إنفاقه في الوجوه المذمومة شرعاً، فلا شك في منعه.

والثاني:. إنفاقه في الوجوه المحمودة شرعاً، فلا شك في كونه مطلوباً بالشرط المذكور.

والثالث:. إنفاقه في المباحات بالأصالة؛ كملا ذ النفس، فهذا ينقسم غلي قسمين:.

أحدهما: . أن يكون على وجه يليق بحال المنفق وبقدر ماله، فهذا ليس بإسراف.

والآخر:. ما لا يليق به عرفاً وهو ينقسم إلى قسمين:.

أحدهما:. ما يكون لدفع مفسدة، إما ناجزة أو متوقعة؛ فهذا ليس بإسراف.

والثاني:. ما لا يكون في شيء من ذلك؛ فالجمهور على أنه إسراف وذهب بعض الشافعيَّة إلى أنه ليس بإسراف.

وملخص ما سبق كالآتي:

١.كثرة الإنفاق في الوجوه المذمومة شرعا ممنوعة شرعا

٢.كثرة الإنفاق في الوجوه المحمودة شرعا مطلوب بشرط عدم الإسراف.

٣.كثرة الإنفاق في المباحات وينقسم إلى:

أ. إذا كان يليق بحال المنفق وقدر ماله فهذا ليس بإسراف.

---

(١) " فتح الباري " (٤٠٨/١٠).

ب ـ ما لا يليق به عُرفا وينقسم إلى:

١. ما يكون لدفع مفسدة ناجزةأو متوقعة فهذا ليس بإسراف

٢. ما لا يكون في شئ من ذلك فالجمهور على أنه إسراف، وقال بعض الشافعية ليس بإسراف

بل إنَّ الفقهاء نهوا عن الإسراف في المباحات طبقاً لما قررته الشريعة وما جاء من نصوص الوحي الكريم حتى نهوا عن الإسراف في الكفن الذي يخرج به الإنسان من الدنيا فقد كان السلف يكرهون المغالاة في الكفن، ويروي في ذلك:" لا تغالوا في الكفن فإنه يسلب سريعاً " (١) وأوصى أبو بكر الصديق ﷺ أن يكفن في ثوبه القديم وقال: إن الحي أحق بالجديد من الميت، إنما هو للمهلة (٢).

فقوله تعالى " وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ "نهي عن الشح والبخل ،" وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ " نهي عن الإسراف والتبذير.

فيكون الواضح من مفهوم الآيتين والمتبادر إلى الذهن إلى أي عاقل هو الدعوة إلى الوسطيَّة في الإنفاق ولأن الكرم فضيلة فقد نهت الآية عن الشح والإسراف في المباحات رذيلة فقد نهى عنه أيضاً، والحقيقة أن الدكتور أحمد الحوفي رحمه الله تعالى حاول جاهداً أن يلوي عنق النص وأتى بتفسير ركيك وضعيف ليدلل على نفي مذهب الوسطيَّة، وقد ذهب المفسرون الطبري والقرطبي وابن كثير وأبو حيان والبقاعي..... وغيرهم إلي أن الآية جاءت بتأييد هذا المذهب كما رأي ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن الأثير، ومن علماء الإخلاق والفلسفة أرسطو والغزالي وابن مسكويه وغيرهم كثير.

---

(١) رواه أبي داود عن علي بن أبي طالب مرفوعاً وفي إسناده ضعف ففيه عمرو بن هاشم أبو مالك الجنبي وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٨٧).

منهج الصحابة في قضية الكرم والإنفاق

عرض د. أحمد الحوفي (١) شبهة وهي تناقض نظرية الوسطيَّة تماماً . حسب ظنه بالطبع . تحت عنوان "مع الرسول وصحابته " بقول الحوفي:. " ولنرجع إلى مشرق الإسلام لتطالعنا أعمال الرسول ﷺ وأعمال صحابته بما ينقض نظرية الوسطيَّة في كل فضيلة من الفضائل ولنتخذ الكرم نموذجاً للتطبيق لقد كانوا أسخياء بأموالهم في حماية الدعوة، وفي مؤازرة الرسول ﷺ وفي محاربة الذين يصدون عن سبيل الله، وفي الإنفاق على الفقراء من المسلمين الذين فقدوا أموالهم في سبيل الله، أو عجزوا عن الكسب، وفي رعاية اليتامي والأيامي، وفي تحرير الأرقاء وما شاكل هذا من جليل ونبيل.

وكان النبي ﷺ وبعض صحابته يعطون وهم في حاجة إلي ما يعطوه، ويبذلون الكثير وهم في حاجة إلى القليل، وهذه هي الدرجة العُليا من الكرم التي إمتدحها الله في قوله " وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (الحشر /٩).

فمثلاً حملت إلى النبي تسعون ألف درهم، فوضعها على حصير، ثم قام إليها فقسمها، فما رد سائلاً حتي فرغ منها، وأتي بمال من البحرين فقال: إنثروه في المسجد، وكان أكثر مال أتي به، فخرج إلى الصلاة ولم يلتفت إليه، فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه، فما رأي أحداً إلا أعطاه، وما قام وثم منها درهم. "

(١) الوعي الإسلامي (ص٤٤-٤٥) مرجع سابق.

الجواب على ما تقدم

ونقول للحوفي: هل تنتظر من رسول الله ﷺ أن يبقي من أموال الصدقة والزكاة شيء مثلاً، ولا يوزعها على مصارفها الشرعيَّة المعروفة، وهل يصلح ذلك لإثبات صحة رأيك بنفي منهج الوسطيَّة، ولنفرض أن المال هو مال الرسول ﷺ، فهل نسيت قوله ﷺ:" إننا معشر الأنبياء لا نورث " فلا يقاس على هذه الحادثة أصلاً في نفي أو إثبات نظرية الوسطيَّة. ويقول الحوفي:. " وكان من الصحابة من يتصدق بثلث ماله، ومنهم من يجود بنصف ماله، ومنهم من يسخو بماله كله، وقال عمر بن الخطاب: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مالاً عندي، فقلت اليوم أسبق أبا بكر، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله: " ماذا أبقيت لأهلك؟" فقال: مثله، وجاء أبو بكر بكل ما عنده، فقال رسول الله:" ما أبقيت لأهلك؟" فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت: لا أسبقه أبداً

كذلك كان عثمان بن عفان، فقد إشترى وحده بئراً من يهودي بالمدينة بعشرين ألف درهم، وجعلها ملكاً للمسلمين، وإشترى وحده موضع خمس سوار " أي أعمدة " زاد بها مساحة مسجد المدينة، وهو الذي مد الجيش الإسلامي في غزوة تبوك بتسعمائة بعير وخمسين فرساً وألف دينار.

فها هنا سخاء كثير، لكنَّه ليس من الإسراف في شيء، لأن البذل في الطاعات لا يوصف بإسراف، فقد سمع رجلاً يقول: لا خير في إسراف، فقال له: لا إسراف في خير " ا.هـ.

والجواب على ذلك

أنَّ أصحاب النبي ﷺ طابت أنفسهم بذلك لأنهم كما قال رسول الله ﷺ فيهم " خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم " (١)

فمن طاق على فعلهم، ولم يؤدي به ذلك إلى الشكوى والندم وفعل ذلك فلا بأس به مطلقاً، والأخذ بمبدأ الوسطيَّة هو الأصل لأنَّ الناس جميعاً لا يطيقون أن يخرجوا أموالهم كلها في سبيل الله ويتركون أولادهم فقراء بلا مال فهذا يؤدي بهم إلي الحرج والشريعة جاءت بنفي الحرج، وإن فعل ذلك بعضهم تأسياً بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج عن مبدأ الوسطيَّة لا يعني ذلك أنَّ هذا المبدأ خطأ أو قصور بل إن أصحاب النبي ﷺ تتفاوت هذه الأمور فيما بينهم فمثلاً عمر بن الخطاب ﷺ ترك نصف ماله لأولاده " وهذا يقره الإسلام لأنَّه جاء على مبدأ الوسطيَّة " وأبو بكر " لأنَّ إيمانه يوزن بإيمان أمة مُحَمَّد جمعاء" ترك لأولاده الله عز وجل " تمام اليقين والتوكل " وتبرع بماله كله لله فهل إيمان كل واحد منا مثل إيمان أبي بكر؟.

بالطبع لا، ولا يستدل بفعله هذا على خطأ منهج الوسطيَّة، وإن بدر منهم الخروج على هذا المبدأ لأنَّ ذلك وافق أموراً معينة عندهم وإيمانهم أكمل وأتم من إيمان من هو دونهم من هذه الأمة، وسوف يأتي الرد إن شاء الله على هذه الشبهه بالتفصيل.

ثمَّ إن هذه الامة ثلاثة أصناف قال تعالى:" ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ " (فاطر /٣٢).

---

(١) أخرجه البخاري عن ابن مسعود (٢٦٥٢)،(٣٦٥١)،(٦٤٢٩)،(٦٦٥٨) ﷺ.وسوف نرد على هذه الشبهة مرة أخري بطريقة أوضح كما سيأتي.

الصنف الأول:. ظالم لنفسه، وهو الذي يطيع الله تعالى ولكنَّه يقصر في العمل بالكتاب وفي فعل بعض الواجبات ويسرف على نفسه بإرتكاب بعض المحرمات وإن كان قائماً بما أوجب الله، وتربو سيئاته في العمل على حسناته

الصنف الثاني:. مقتصد في فعل الخيرات، وهو الذي يطيع الله تعالى ولا يعصيه، فيؤدي الواجبات ويترك المحرمات، ولكنَّه لا يتقرب إلى الله تعالى بالنوافل من الطاعات، ويترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات.

الصنف الثالث:. سابق بالخيرات بإذن الله، وهو الذي كثر عمله بكتاب الله، وزادت حسناته على سيئاته.

الباب الرابع

شبهات وردود

رد شبهات حول موضوع الوسطيَّة

الشبهة الأولي

شبهة تشديد الصحابة والتابعين على أنفسهم[1]

قال الشاطبي رحمه الله تعالى:.

قد يقول البعض صحَّ أنَّ رسول الله ﷺ كان يواصل في صيامه، وكان يقوم الليل حتي تتورم قدماه، بل قد صحَّ أنَّ نفراً كبيراً من الصحابة والتابعين صبروا على احتمال المشقة في الأعمال والصبر عليها دئماً ويكفيك من ذلك ما جاء عن الصحابة والتابعين ومن يليهم ﷺ، ممن إشتهر بالعلم وحمل الحديث والإقتداء بعد الإجتهاد، كعمر وعثمان وأبي موسي الأشعري وسعيد بن عامر، وعبد الله بن الزبير، ومن التابعين كعامر بن عبد قيس وأويس، ومسروق، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يزيد، والربيع بن خيثم، وعروة، وعبد الله بن الزبير، وأبي بكر بن عبد الرحمن " راهب قريش"، وكمنصور بن زاذان، ويزيد بن هارون، وهشيم، وزر بن حبيش، وأبي عبد الرحمن السلمي، ومن سواهم ممن يطول ذكرهم وهم من أتباع السنةوالمحافظة عليها ما هم.

ومما جاء عن عثمان ﷺ أنَّه كان إذا صلَّى العشاء أوتر بركعة يقرأ فيها القرآن كله، وكم من رجل منهم صلَّى الصبح بوضوء العشاء كذا وكذا سنة، وسرد الصيام كذا وكذا سنة، وروي عن ابن عمر وابن الزبير أنهما كانا يواصلان الصيام، وأجاز الإمام مالك صيام الدهر، وكان أويس القرني يقوم ليله حتي يصبح ويقول: بلغني أنَّ لله عباداً سجوداً أبداً..... ونحوه عن عبد الله بن الزبير، وعن الأسود بن يزيد، أنه كان يجهد نفسه في الصوم والعبادة حتي يخضر جسده ويصفر فكان علقمة يقول له: ويحك لم تعذب هذا الجسد؟ فيقول: إن الأمر جد.

---

(١) الموافقات في أصول الأحكام (٢/٩٣-٩٨) وقد ذكر الإمام الشاطبي هذه القضية وأجاب عنها في أجلى بيان في الموضع المذكور.

وعن أنس بن سيرين أن إمرأة مسروق قالت: كان يصلي حتي تورمت قدماه فربما جلست أبكي خلفه مما أراه يضع بنفسه.

وعن الشعبي قال: غشي على مسروق في يوم صائف وهو صائم فقالت له إبنته: أفطر! قال: ما أردت بي؟ قالت: الرفق! قال: يابنية إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة إلى سائر ما ذكر عن الأولين من الأعمال الشاقة التي لا يطيقها إلا الأفراد الذين هيأهم الله لها وهيأها لهم وحببها إليهم.

والجواب عن هذه الشبهة

نلاحظ أن هذه الشبهة لها شقين:.

الأول:. ما جاء في حق النبي ﷺ من تشديده على نفسه وإحتمال المشقة في الأعمال والصبر عليها.

والثاني:. ما جاء في حق الصحابة والتابعين ومن تابعهم إلي يوم الدين.

وأما الجواب على الأول منها: وهو المتعلق بحق النبي ﷺ فهو أنَّه ﷺ كما ورد عن السيدة عائشة ﵂ نهاهم عن الوصال في الصيام رحمة لهم. فقالوا له: إنك تواصل!!؟ فقال: " إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني ".

الثاني:. وهو حجر الزاوية في هذه القضية، فقد رد الإمام الشاطبي [1] (ت ٧٩٠) رحمه الله تعالى هذه الشبهة في أروع بيان فقال: " وحاصل هذا كله أن النهي لعلَّة[2] معقولة المعنى مقصودة للشارع وإذا كان كذلك فالنهي دائر مع العلة وجوداً وعدماً فإذا

(١) الموافقات في أصول الأحكام (٢/٩٣-٩٨) للشاطبي.

(٢) العلة: هي السبب.

وجد ما علل به الرسول كان النهي متوجهاً ومتجهاً، وإذا لم توجد فالنهي مفقود إذا الناس في هذا الميدان على ضربين [1]:.

١. ضرب يحصل له بسبب إدخال نفسه في العمل تلك المشقة الزائدة على المعتاد فتؤثر فيه أو في غيره فساداً أو تحدث له ضجراً وملالاً وقعوداً عن النشاط إلى ذلك العمل كما هو الغالب في المكلفين فمثل هذا لا ينبغي أن يترك من الأعمال ما فيه ذلك بل يترخص فيه بحسب ما شرع له في الترخيص إن كان مما لا يجوز تركه أو يتركه إن كان مما له تركه وهو مقتضي التعليل.

ودليله قوله عليه الصلاة والسلام " لا يقضي القاضي وهو غضبان "[2].

وقوله:" إنَّ لنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً " وهو الذي أشار به عليه الصلاة والسلام على عبد الله بن عمرو بن العاص حين بلغه أنه يسرد الصوم، وقد قال بعد الكبر: ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ. وقد تقدم تخريجه في الصحيحين.

النوع الثاني من الناس وهو المقصود

والضرب الثاني:. شأنه أن لا يدخل عليه ذلك الملل ولا الكسل لوازع هو أشد من المشقة أو حاد يهمل به الصعب أو لما له في العمل من المحبة ولما حصل له فيه من اللذة حتي خفَّ عليه ما ثقل على غيره وصارت تلك المشقة في حقه غير مشقة بل يزيده كثرة العمل وكثرة العناء فيه نوراً وراحة أو يحفظ عن تأثير ذلك المشوش في العمل بالنسبة إليه أو إلى غيره كما جاء في الحديث " أرحنا بها يا بلال ".

وفي الحديث الذي روي بإسناد جيد " حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة "[3]

---

(١) ضربين: نوعين او فريقين.

(٢) رواه الترمذي وحسنه.

(٣) الحديث رواه البخاري في الصحيح وأحمد في مسنده عن أنس ﷺ وزاد الإمام أحمد في روايته

وقال لما قام حتي تورمت قدماه أو تفطرت قدماه: "أفلا أكون عبداً شكورا " وقيل له عليه الصلاة والسلام: أنأخذ عنك في الغضب والرضا قال:" نعم "، وقال في حقنا:" لا يقضي القاضي وهو غضبان ".

والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين كانوا في النوع الثاني الذي لا يدخل عليه الملل ولا الكسل بسبب المشقة وبهذا يزول الإشكال.

وقد أجاب عن ذلك الشيخ مصطفى المراغي (ت سنة ١٣٣٤هـ = ١٩٥٤م) رحمه الله تعالى

بطريقة أخرى فقال:"لكن بعض العلماء رووا أحاديث في الزهد، منها الموضوع، ومنها الضعيف ولا شبهة في أنَّ بعض الخلفاء وبعض الصحابة وبعض الأمة زهدوا وتقشفوا، وأعرضوا عن طيبات الدنيا وعن زينتها؛ لكن لهذا أسباباً، منها ضيق ذات اليد قبل أن يفتح الله عليهم أبواب الرزق؛ ومنها مقاومة الفساد بعد أن فتح الله أبواب الدنيا.واستولوا على ملك كسرى وملك قيصر، ووجدوا ما لم يكونوا يعرفون من قبل، وإندفع بعضهم في الإستمتاع دون الوقوف عند الحد، وعند القصد" ا.هـ.

في كتاب " الزهد ": " أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن ".

الشبهة الثانية:.

هل الحدود الشرعيَّة تتصف بالوحشيَّة وضد منهج الوسطيَّة [1]؟

والحقيقة أنَّ هذه الشبهة يثيرها على الدوام أعداء الإسلام، ومنظمات حقوق الإنسان الغربية المعروفة بعدائها الشديد للقيم الإسلاميَّة في قضايا المرأة ةقضايا الحدود الشرعيَّة الإسلاميَّة.

وقد رد د. حمدي زقزوق على هذه الشبهه رداً جيداً بقوله:.

١- الإسلام ليس ديناً يرغب في القسوة ويشتهي العنف، بل العكس هو الصحيح، وهو أنَّه دين يدعو إلى الرحمة والتراحم والسماحة، ولكنَّه في الوقت نفسه يحرص على إستتاب الأمن وإقرار السلم في المجتمع ضماناً لحرية الأفراد، وصوناً لحقوقهم في أمن وأمان، وحماية لأنفسهم وعقائدهم وعقولهم وأموالهم وأسرهم، والإسلام حين يضع عقوبة لخطيئة ما يضع في إعتباره عنصرين أساسين :

أ- الإنسان ليس معصوماً من الخطأ، بل هو معرض له في أي وقت، ومن هنا فتح الإسلام باب التوبة أمام المخطئين الذين يندمون على ما فعلوا ويريدون أن يطهروا نفوسهم.

ب – كل فرد في المجتمع يهمه أن يعيش حياته آمناً مطمئناً على نفسه وأسرته وممتلكاته، ولا يجوز أن تتحول إنحرافات بعض الأفراد إلى ظاهرة هدَّامة تعصف بأمن المجتمع وتروع الآمنين.

---

(١) الإسلام في مواجهة حملات التشكيك (١٣١-١٣٥) د. محمود حمدي زقزوق. ط: المجلس الأعلي للشئون الإسلامية سنة ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م القاهرة: سلسلة قضايا إسلامية عدد "٣٦".

٢- وإذا كان الإسلام قد وضع الحدود لمعاقبة المجرمين فإنَّه دعا إلى درئها بالشبهات، وإلى وقفها بالتوبة إذا رأي القاضي أنَّ من تورط فيها قد ندم على فعله وأنَّه تاب توبة نصوحاً وفي ذلك يقول النبي

ﷺ:" إدرءوا الحدود عن المسلمين ما إستطعتم، فإن وجدتم للمسلم مخرجاً فخلُّوا عن سبيله، فإن الإمام لأن يخطيء في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة " [١].وهذا الحديث يدل على منتهي التسامح.

عقوبة الزنا : الرجم والجلد

٣- إنَّ عقوبة الزنا من الأمور التي يصعب تنفيذها نظراً لأنَّ الإسلام قد إشترط لثبوت جريمة الزنا أن يشهد على ذلك أربعة شهود يقررون أنهم رأوا وقوعها على نحو صريح لا شبهة فيه، وهذا أمر صعب.

ومن هنا فإن حادثتي الرجم اللتين وقعتا في تاريخ الإسلام كانتا بناءاً على إعتراف وليس بشهادة الشهود، وقد حاول النبي ﷺ مراراً وعلى فترات مختلفة أن يثني كلا الجانبين عن هذا الإعتراف، ولكنهما أصرا على ذلك إصراراً لم يجد معه النبي صلى الله عليه وسلم مفراً من تنفيذ العقوبة.

---

(١) رواه الترمذي والحاكم في مستدركه وغيرهما...راجع فيض القدير (٢٢٦/١) وما بعدها للعلامة: المناوي.ط: بيروت سنة ١٩٧٢م.

ردالشيخ مُحَمَّد الغزالي السقا رحمه الله تعالى على هذه الشبهة
(١٣٢٥-١٤١٧هـ) = (١٩١٧-١٩٩٦م)

الإسلام لا يقطع يد سارق جائع سرق من أجل إطعام نفسه وإطعام أولاده، ولكنَّه يعاقب السارق المتبجح الذي يسرق لا لحاجته ولكن لسرقة كسب الآخرين وكدحهم، وإشاعة الفساد في المجتمع، ومثل هذا الجانب لا يستحق شفقة من أحد، لأنَّه هو نفسه لم يشفق أو يرحم من سرق منه وقد يكون المسروق منه في أشد الحاجة إلى المال الذي سرق منه، فمن حق المجتمع أن يدافع عن حقوقه، فضلاً عن ذلك فإنَّ تطبيق هذه العقوبة في المجتمع الإسلامي . حينما كانت مطبقة . كانت نتيجته ندرة حدوث السرقة في المجتمع لدرجة أن التاجر كان يترك بضاعته بلا حراسة، وكانت أبواب المنازل تترك دون إحكام إغلاقها، وعلى الرغم من ذلك لم تكن تحدث السرقات، وهذا على خلاف ما هو حادث في شتَّى المجتمعات التي تكتفي بعقوبة خفيفة، إذ يشجع ذلك على إنتشار السرقات، وتكرارها بدرجة أصبحت تشكل في بعض المجتمعات ظاهرة خطيرة [١].

٥- شرط تطبيق عقوبة السرقة هو توفير العدل الإجتماعي، والقضاء على شبح الفقر في المجتمع، الأمر الذي لا يشعر فيه مواطن بدافع يدفعه إلى السرقة، ومن هنا أوقف الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ تنفيذ حد السرقة عام المجاعة [٢] التي شهدتها بلاد المسلمين حينذاك، وعندما كانت الحدود مطبقة على نحو عادل في الإسلام في عهده

---

(١) مائة سؤال عن الإسلام للشيخ مُحَمَّد الغزالي (٤١/٢) وما بعدها.

(٢) ويسمي " عام الرمادة " لأن الناس كانوا يسفون الرماد من شدة الجوع. وللمزيد: مقولات ظالمة حول القرآن والرسول

٨٤/٢-٨٧) د. عبد الصبور مرزوق. سلسلة: قضايا إسلامية كتاب رقم " ٣٢".

الأول كان السائر من مكة إلى الشام لا يخاف في طريقه إلا الله والذئب على غنمه فكل سارق كان يعلم سلفاً ما هي العقوبة، ومن أجل ذلك كان يفكر ألف مرة قبل إرتكاب جريمة السرقة أو غيرها من الجرائم، ومن هنا كانت ندرة تطبيق الحدود،فأيهما أفضل؟ إستتباب أمن المجتمع وإن أدَّى ذلك إلى تطبيق العقوبة على بضع أفراد أو إمتلاء السجون بالمجرمين وتعكير صفو الأمن في المجتمع؟ من الذي يستحق التعاطف معه؟ المجرم أم المجتمع وأمنه وإستقراره!؟

رد العلاَّمة ابن القيم في إعلام الموقعين (٣/١٤-١٥)

إنَّ سقوط القطع في المجاعة محض قياس، وجار مع مقتضى قواعد الشرع لما يغلب على الناس من الحاجة والضرورة، وهذه شبهة قوية تدرأ القطع عن المحتاج، ويمكن القول بأن عدم القطع هنا يرجع إلى نص هو قول رسول الله ﷺ:. " إدرءوا الحدود بالشبهات " [1] **ا.هـ.**

في مسند أبي حنيفة للحارثي حديث رواه عبد الله ابن عباس عن الرسول ﷺ: ((ادرؤوا الحدود بالشبهات))

لقد جاء في هذا الباب عدة أحاديث في أسانيدها مقال، لكن يشد بعضها بعضاً، منها هذا الحديث: ((ادرؤوا الحدود بالشبهات)) أخرجه الهندي في كنز العمال برقم ١٢٩٥٧، ١٢٩٧٢، وفي كشف الخفاء برقم ١٦٦ وفي الآخر: ((ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم)) أخرجه الترمذي في كتاب الحدود، باب ما جاء في درء الحدود، برقم ١٣٤٤، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الحدود، باب ما جاء في درء الحدود بالشبهات ٢٣٨/٨

والمعنى: أن الواجب على ولاة الأمور من العلماء والأمراء أن يدرؤوا الحدود بالشبهة التي توجب الشك في ثبوت الحد، فإذا لم يثبت عند الحاكم الحد ثبوتاً واضحاً لا شبهة فيه فإنه لا يقيمه، ويكتفي بما يردع عن الجريمة من أنواع التعزير، ولا يقام الحد الواجب كالرجم في حق الزاني المحصن، وكالجلد مائة جلدة في حق الزاني البكر، وبقطع اليد في حق السارق لا يقام إلا بعد ثبوت ذلك ثبوتاً لا شبهة فيه ولا شك فيه بشاهدين عدلين لا شبهة فيهما، فيما يتعلق بالسرقة وبأربعة شهود عدول فيما يتعلق بحد الزنا، وهكذا بقية الحدود، فالواجب على ولاة الأمر أن يعتنوا بذلك وأن يدرؤوا الحد بالشبهة التي توجب الريبة والشك في الثبوت.

الخاتمة
منهج الوسطية في ترشيد الصحوة الإسلامية

معالم على الطريق

وفي نهاية هذا التطواف علينا أن نتعلم:.

١- أنَّ الله يحب أن يرى آثار نعمته على عباده :

يظن بعض الناس أنَّ نعمة الله عليهم يجب أن تخفي خوفاً من الحسد والحقد، وهذا الظن مضاد لمنهج الوسطيَّة، وإنحراف عن تعاليم الرسول ﷺ: فقد روي أبو الفرج بن الجوزي[١] (ت سنة ٥٩٧هـ) بسنده عن شعبة عن ابن إسحاق عن الأحوص عن أبيه، قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا قشف الهيئة [٢] فقال:" هل لك مال؟" قلت: نعم. قال:" من أي المال؟". قلت: من كل المال قد أتاني الله عز وجل من الإبل والخيل والرقيق والغنم. قال:" فإذا آتاك الله عز وجل مالاً فليرى عليك ".

٢- أنَّ الصحابة فعلوا بأنفسهم ما لا يصلح لغيرهم :

روي أبو الفرج بسنده[٣] عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال: مضى علي بن أبي طالب إلى الربيع بن زياد أن يعوده. فقال له: يا أمير المؤمنين أشكو إليك عاصماً أخي، قال: ما شأنه؟، قال: ترك الملاذ [٤]، ولبس العباءة فغم أهله، وأحزن ولده، فقال علي

---

(١) تلبيس إبليس (ص/٢٢٧) وما بعدها.ط: بيروت سنة١٤٠٧هـ.

(٢) أي يلبس لباس الفقراء والزهاد.

(٣) تلبيس إبليس (ص/٢٢٨).

(٤) الملاذ: الملذات ولعله يقصد: أنه تزهد علي غير المألوف.

عاصماً!، فلما حضر بشَّ في وجهه وقال: أترى الله أحلَّ لك الدنيا وهو يكره أخذك منها، أنت والله أهون على الله من ذلك؛ فوالله لابتذالك نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالك بالمقال. فقال: يا أمير المؤمنين إني أراك تؤثر لبس الخشن

وأكل الشعير؟ [1] فتنفس الصعداء (يعني علي كرم الله وجهه) ثم قال: ويحك ياعاصم، إنَّ الله إفترض علي أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام لئلا يتبيغ بالفقير فقره.

قال أبو بكر الانباري: المعني لئلا يزيد ويغلو، يقال تبيغ به الدم: إذا زاد وجاوز الحد.

٣- تجديد الفقه الإسلامي...ودراسة المعاملات الحديثة

قال الشيخ المدني: [2]

من الممكن أن نرسم على ضوئه منهجاً فقهياً في دراسة المعاملات الحديثة يقوم على دعامات ثلاث

الدعامة الأولي:.

أنَّ من حق المجتمع الإسلامي أن يبتكر ما شاء من ألوان المعاملات وأن يجاري النشاط الإقتصادي العالمي بالمساهمة فيه حسب الطرق الحديثة دون تحرج [3]، وأنَّ الله لم يوجب على الناس أن يلتزموا صوراً خاصة من المعاملات لا يتجاوزنها، وليست الصور التي يبحثها أصل الفقه والحديث إلا ألواناً من المعاملات يمكن أن يضاف إليها ويحذف

---

(١) ولعل هذا جواب علي الشبهة التي ذكرناها قبل ذلك في الباب الماضي.

(٢) مرجع سابق (١١٢-١١٤) بتصرف .

(٣) بالطبع مع الإلتزام بالقواعد الفقهية والشرعية المقررة في علم أصول الفقه.

منها ويعدل في ظل أصول الشريعة من رعاية المصالح وحفظ النفوس، والأموال، والأخلاق، وعدم الحرج والتعسير، والمسلمون إذا عرفوا ذلك وعملوا بمقتضاه، يدفعون عن أنفسهم ودينهم تهمة طالما أخلد إليها الأجانب والمغرورون بهم، فإنهم يقولون إنَّ الشريعة الإسلاميَّة تمنع المؤمنين بها من مجاراة عالم الإقتصاد الحديث، وتوجب عليهم أن يظلوا على أساليبهم القديمة في التجارة وشروط الشركات للعقدة التي ضيق بها الفقهاء على الناس، وما دام المسلمون يرون هذا ديناً واجب الإتباع فسيبقون عاجزين عن مجاراة الأساليب الحديثة قابعين وراء القرون الخالية.

الدعامة الثانية: .

أنَّ الأصل في المعاملات الإباحة، فلا يجوز المسارعة إلى تحريم صورة من صور المعاملات حتى يتبين أن الله حرمها.

الدعامة الثالثة:.

إنَّ إستعمال المعاملة على ناحية من نواحي المنع والتحريم لا يكفي في القول بتحريمها، بل لا بد من دراسة هذه الناحية، ودراسة حال الناس في شأنها ومدي ما تشتمل عليه من منفعة أو مضرة، فقد يظهر أنَّ منفعتها غالبة على مضرتها، أو أنَّ مضرتها من النوع الذي يمكن التغاضي عنه تيسيراً على الناس، فيسلك بها مسلك الترخيص، أو أنها من المعاملات التي يمكن تهذيبها وتقويم المعوج فيها.

بهذا المنهج نستطيع أن نعيد الشريعة إلى مجال التعامل والإقتصاد بعد أن نحبت عن هذا المجال منذ جمد المتأخرون من أتباع الفقهاء على ما ورثوا دون أن يتابعوا النظر، أو يحاولوا درس الجديد من ألوان المعاملات والنظم الإقتصاديةً، وهذا . من جهة أخري . يشرح لنا نظرة الإسلام المتوسطة بين هذه النواحي المختلفة من التشريعات، فهي نظرة تقوم على إدراك الواقع وإعطائه ما يناسبه من أساليب المعالجة والدرس،وهي في الوقت نفسه نظرة تعطي العقائد الأصليَّة حقها في الثبات والإستقرار، وأن تألف القلوب

عليها، وتعطي العبادات حقها أنَّ تكون مستمدة من المعبود لأنها رسوم شكره هو، وتعظيمه هو، فلا تستمد إلا منه، كما لو تصورنا ملكاً يجعل لمقابلته وزياراته مواعيد وتقاليد لا يجوز الخروج عليها

" ولله المثل الأعلى " وتُعطي . أخيراً . المعاملات حقها في أن تتطور وتتجدد وملاحظة في أمرها ما يصلح به الناس، وتتيسر به الحياة، وذلك مظهر عظيم من مظاهر الوسطيَّة في الإسلام.

" وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين "

ثبت أهم المصادر والمراجع

أ- القرآن الكريم

ب- التفسير

١- الطبري (٢٤٤- ٣١٠هـ): أبو جعفر، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب " متشيع قليلاً " " مجتهد مطلق ذو مذهب مستقل "

كتابه " جامع البيان في تفسير القرآن ": "تفسير بالمأثور " ط: درا المعارف – القاهرة.

٢- البغوي (٤٢٩-٥١٠هـ): أبو مُحَمَّد، الحسين بن مسعود بن مُحَمَّد الغراء " الشافعي ".

كتابه: " معالم التنزيل ": " تفسير بالمأثور ".

٣-الرازي (٥٤٤- ٦٠٦هـ): فخر الدين " أبو عبد الله، مُحَمَّد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، التميمي البكري المعروف " ابن الخطيب الشافعي".

كتابه:" مفاتيح الغيب ": " تفسير بالرأي الجائز ". " فيلسوف ".

٤- أبو حيان (٦٥٤- ٧٤٥هـ): أثير الدين، أبو عبد الله، مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الأندلسي، الغرناطي، الحياني الشهير " أبي حيان.

كتابه:" البحر المحيط ":" تفسير بالرأي الجائز".

٥- القرطبي (.... – ٦٧١هـ): مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري " المالكي ".

كتابه:" الجامع لأحكام القرآن "" من تفاسير الفقهاء " ط: دار الشعب – القاهرة. " أشعري ".

٦- ابن كثير (٧٠١-٧٧٤هـ): عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير، بن ضو الدمشقي" الشافعي"

كتابه:" تفسير القرآن العظيم " " تفسير بالمأثور " " سلفي " ط: بيروت –لبنان.

٧- البقاعي (٨٠٩ - ٨٨٥ هـ): برهان الدين

كتابه: " تفسير البقاعي ".

٨- الآلوسي (١٢١٧-١٢٧٠هـ): شهاب الدين أبو الثناء، محمود " أفندي " بن عبد الله الآلوسي البغدادي " الحنفي الشافعي " " سلفي المعتقد ".

كتابه: " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني " " تفسير بالرأي الجائز" ط: دار الغد العربي – القاهرة.

٩- السعدي (١٣٠٧-١٣٧٦هـ): عبد الرحمن بن ناصر

كتابه:" تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان "" تفسير بالرأي الجائز " " حنبلي المذهب سلفي المعتقد ".

١٠- قطب (١٣٢٤-١٣٨٦هـ): سيد قطب " بدون مذهب "

كتابه:" في ظلال القرآن ":" " من الوان التفسير الأدبي- الحديث " " أشعري في الصفات ".

ج- السنة النبوية

١١- مالك بن أنس (٩٣-١٧٩هـ): " الموطأ" مع شرح (المنتقي) للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي المتوفي سنهة ٤٩٤هـ. طبعة ١٣٣٣هـ. ": دار إحياء الكتب العربية سنة (١٣٤٣هـ).

١٢- عبد الله بن المبارك (١١٨-١٨١): "الزهد " ط: بيروت – لبنان

١٣- عبد الرازق بن همام (١٢٦-٢١١): " المصنف " ط: المكتب الإسلامي – لبنان.

١٤- ابن أبي شيبة (...-٢٣٥): " المصنف" ط: الهند.

١٥ -أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١): " المسند" ط: المعارف – مصر سنة (١٣٦٥هـ).

١٦- الدرامي: عبد الله بن عبد الرحمن (١٨١-٢٥٥): " السنن" مطبعة الإعتدال. دمشق.
١٧- البخاري: مُحَمَّد بن إسماعيل (١٩٤ -٢٥٦): " الجامع الصحيح " ط: بيروت – لبنان مع شرحه " فتح الباري".
١٨- البخاري: مُحَمَّد بن إسماعيل (١٩٤-٢٥٦):" الأدب المفرد " ط: بيروت – لبنان.
١٩- أبو داود: سليمان بن الاشعث (٢٠٢-٢٧٥): " السنن" ط: سنة (١٣٤٨هـ).
٢٠- مسلم بن الحجاج (٢٠٤-٢٦١):" الصحيح " ط: مُحَمَّد علي صبيح – مصر.
٢١- ابن ماجه: مُحَمَّد بن يزيد (٢٠٩-٢٧٣): " السنن ط: سنة (١٣٤٩هـ) بمصر.
٢٢- الترمذي: مُحَمَّد بن عيسي (٢٠٩-٢٧٩): " السنن" ط: سنة(١٣٥٢هـ) مع شرحه:" تحفة الأحوذي".
٢٣- ابن خزيمة: مُحَمَّد بن إسحاق (٢٢٣-٣١١):" الصحيح " ط: المكتب الإسلامي – بيروت.
٢٤- النسائي: أحمد بن شعيب (٢٢٥-٣٠٣): " السنن الصغري".
٢٥- الموصلي: أبو يعلي (...- ٣٠٧):" المسند " ط: بيروت – لبنان.
٢٦- الطبري: سليمان بن أحمد (٢٦٠-٣٦٠): " المعجم الصغير ".
٢٧- ابن حبان (.....- ٣٥٤):" الصحيح " مع " موارد الطمأن " ط: بمصر.
٢٨- الحاكم: مُحَمَّد بن عبد الله (٣٢١-٤٠٥): " المستدرك ".
٢٩- البيهقي: أحمد بن الحسين (٣٨٤-٤٥٨): " السنن الكبري".
٣٠- البغوي:الحسين بن مسعود (..-٥١٠): " شرح السنة ".
٣١- القاضي عياض: عياض بن موسي (٤٧٦-٥٤٤): " الشفا بتعريف حقوق المصطفى " ط: بمصر.

٣٢- المنذري: عبد العظيم بن عبد القوي (٥٨١-٦٥٦):"الترغيب والترهيب"ط:بمصر.
٣٣- النووي: يحي شرف (٦٣١-٦٧٦): "شرح صحيح مسلم " ط: بيروت – لبنان.
٣٤- النووي: يحي شرف (٦٣١-٦٧٦): " رياض الصالحين ".
٣٥- ابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢):" فتح الباري شرح صحيح البخاري " ط: المكتبة السلفية بمصر.
٣٦- السيوطي: عبد الرحمن بن كمال الدين (٨٤٩-٩١١):"الجامع الصغير"ط: بمصر.
٣٧- السيوطي: عبد الرحمن بن كمال الدين (٨٤٩-٩١١هـ): " الجامع الكبير " ط: مجمع البحوث مصر.
٣٨- المناوي: عبد الرؤوف بن تاج العارفين (٩٥٢-١٠٣١هـ): " فيض القدير شرح الجامع الضغير ".
٣٩- العجلوني: إسماعيل بن مُحَمَّد الجراحي (....-١١٦٢هـ): " كشف الخفا ومزيل الإلباس"
٤٠- الألباني: مُحَمَّد ناصر الدين (١٣٣٣-١٤٢٠هـ) " سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة"
٤١- الألباني: مُحَمَّد ناصر الدين (١٣٣٣-١٤٢٠هـ):" سلسلة الأحاديث الصحيحة
٤٢- الألباني: مُحَمَّد ناصر الدين (١٣٣٣-١٤٢٠هـ):" صحيح الجامع الصغير وزيادته
٤٣- الألباني: مُحَمَّد ناصر الدين (١٣٣٣-١٤٢٠هـ):" ضعيف الجامع الصغير وزيادته

د- كتب أصول الفقه

٤٤- ابن عبد السلام: عز الدين، عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (...-٦٦٠):" قواعد الأحكام في مصالح الأنام " جزءان مطبعة الإستقامة – القاهرة (شافعي).

٤٥- القرافي: أبو العباس، أحمد بن إدريس، شهاب الدين (...-٦٨٤): " أنوار البروق في أنواع الفروق " ٤ أجزاء ط: دار إحياء الكتب العربية ط. أولي سنة (١٣٤٤هـ) – مع حاشية ابن الشماط، وتهذيب الفروق للشيخ مُحَمَّد بن علي بن حسن " مفتي المالكية " بمكة المكرمة (مالكي)

٤٦- ابن القيم: مُحَمَّد أبي بكر (٦٩١-٧٥١): " إعلام الموقعين عن رب العالمين " ٤ أجزاء في مجلدين ط: دار الحديث: القاهرة (حنبلي).

٤٧- الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسي اللخمي (...-٧٩٠): " الموافقات في أصول الأحكام " ٤ أجزاء في مجلدين " تعليق العلامة: مُحَمَّد الخضر حسين " ط: المطبعة السلفية بمصر (١٣٤١) وبشرح د. مُحَمَّد عبد الله دراز ط: مصطفي أحمد (مالكي).

هـ- الفقه

٤٨- ابن قدامه: أبي مُحَمَّد، عبد الله بن أحمدبن مُحَمَّد بن قدامه (الحنبلي) (٥٤١-٦٢٠هـ) " المغني عي مختصر الخرقي " ط: مكتبة ابن تيمية تحقيق مُحَمَّد رشيد رضا – مصر.

٤٩- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم (٦٦١-٧٢٨): " السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية " تحقيق مُحَمَّد إبراهيم البنا، مُحَمَّد أحمد عاشور سنة ١٣٩٠هـ -١٩٧٠م ط: دار الشعب. (حنبلي)

٥٠- ابن القيم: مُحَمَّد بن أبي بكر (٦٩١-٧٥١): " الصلاة وحكم تاركها " ط: بمصر (حنبلي).
٥١- سابق: السيد سابق (١٣٣٥-١٤٢٠هـ):"فقه السنة" ط:بمصر (بدون مذهب).
٥٢- القرضاوي: يوسف القرضاوي (١٣٤٤- معاصر):" الحلال والحرام " ط: المكتب الإسلامي – بيروت –لبنان.(حنفي).

و- كتب اللغة والمعاجم

٥٣- الرازي: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (...- ٣٩٥): " معجم مقاييس اللغة " تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة مصطفي البابي الحلبي ١٣٨٩هـ -١٩٦٩م.
٥٤- الجوهري: إسماعيل بن حماد (٣٣٢-٣٩٨): " الصحاح " تحقيق: عبد الغفور عطار.ط: بيروت: دار العلم للملايين ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٥٥- الرازي: مُحَمَّد بن ابي بكر بن عبد القادر (...-٦٦٦): " مختار الصحاح " بيروت. دار الكتاب العربي ١٩٧٩م ط: نظارة المعارف بمصر سنة (١٩٥٢ م).
٥٦- ابن الأثير: مجد الدين المبارك بن مُحَمَّد (٥٤٤-٦٠٦): " النهاية في غريب الحديث والأثر " المطبعة العثمانية سنة (١٣١١) بمصر.
٥٧- ابن منظور: مُحَمَّد بن مكرم الإفريقي(أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري الأنصاري الخزرجي) (٦٣٠-٧١١): " لسان العرب " ط: دارصادر (بيروت سنة ١٩٥٥م).
٥٨- الفيومي: أحمد بن مُحَمَّد بن علي المقري (٧٠٣-٧٧٢): " المصباح المنير ".
٥٩- الفيروز آبادي: أبو طاهر مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب (٧٢٩-٨١٦): " بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز " بتحقيق: مُحَمَّد النجار ط: بيروت المكتبة العلمية.

٦٠- الفيروز آبادي: مُحَمَّد بن يعقوب (٧٢٩-٨١٦): " القاموس المحيط " ط: مؤسسة الرسالة. بيروت طبعة أولي سنة١٤٠٦هـ.
٦١- مجمع اللغة العربية: " المعجم الكبير " ط: سنة ١٩٥٦م.
٦٢- مجمع اللغة العربية: " المعجم الوسيط " ط: سنة ١٩٦٠م.
٦٣- مجمع اللغة العربية: " المعجم الوجيز " ط: سنة ١٩٩٢م.
٦٤- مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي (١٢٩٩-١٣٨٨هـ): " المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم " ط: بيروت سنة ١٩٩٠م.

ز- كتب السير والتراجم والتاريخ

٦٥- ابن سعد: مُحَمَّد بن سعد البصري (١٦٨-٢٣٠): " الطبقات الكبري " ط: بيروت دار صادر. تحقيق. إحسان عباس سنة ١٩٧٦م.
٦٦- الطبري: مُحَمَّد بن جرير (٢٢٤-٣١٠): " التاريخ " مطبعة الإستقامة. سنة ١٢٥٧هـ.
٦٧- أبو نعيم: أحمد بن عبد الله (٣٣٦-٤٣٠): " أخبار أصبهان " ط: أوروبا.
٦٨- أبو نعيم: أحمد بن عبد الله (٣٣٦-٤٣٠): " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٩هـ.
٦٩- الخطيب البغدادي: أحمد بن علي (٢٩٢-٤٦٣): " تاريخ بغداد" مطبعة السعادة سنة ١٣٤٩هـ.
٧٠- ابن عساكر: علي بن الحسن (٤٩٩-٥٧١): " تاريخ دمشق" ط: بيروت.
٧١- ابن كثير: إسماعيل بن عمر (٧٠١-٧٧٤): " البداية والنهاية " ط: بيروت.
٧٢- ابن القيم: مُحَمَّد بن ابي بكر (٦٩١-٧٥١): " زاد المعاد في هدي خير العباد " تحقيق الأرنا ؤوط.

٧٣- ابن تغري بردي (٨١٣- ٨٧٤هـ): " النجوم الزاهرة ".
٧٤- ابن إياس الحنفي: مُحَمَّد بن أحمد (...-٩٣٠): " بدائع الزهور في وقائع الدهور " تحقيق: مُحَمَّد مصطفي ط: القاهرة ١٣٨٠هـ -١٩٦١م.
٧٥- ليكي: " تاريخ أخلاق أوروبا "
LECKY: HISTORY OF EUROPEAN MORALS. CHAPTER. IV.
٧٦- ول ديورانت: " قصة الحضارة " ٢٢ مجلداً. ط: الهيئة العامة المصرية للكتاب.
٧٧- هـ.ج ويلز: " معالم تاريخ الإنسانية ".

ح- الزهد والمواعظ والآداب والرقائق والطرائف والرسائل

٧٨- أرسطو: (٣٢٢-٣٨٤) " قبل الميلاد ": " علم الأخلاق ".
٧٩- عبد الله بن المبارك (١١٨-١٨١هـ): " الزهد " ط: بيروت.
٨٠- أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١): " الزهد " ط: مصر.
٨١- البخاري: مُحَمَّد بن إسماعيل (١٩٤-٢٥٦): " الأدب المفرد ط: بيروت. لبنان.
٨٢- الخطابي: حمد بن إبراهيم البستي (٣١٩-٣٨٨): " العزلة ".
٨٣- الماوردي: علي بن مُحَمَّد بن حبيب (٣٦٤-٤٥٠)"أدب الدنيا والدين"ط: بيروت
٨٤- ابن مسكوية: أحمد بن مُحَمَّد بن يعقوب (أبو علي) (....- ٤٢١):" تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق "
٨٥- الغزالي: أبو حامد مُحَمَّد (٤٥٠-٥٠٥): " إحياء علوم الدين ".
٨٦- الغزالي: أبو حامد مُحَمَّد (٤٥٠-٥٠٥): " ميزان العمل ".
٨٧- الغزالي: أبو حامد مُحَمَّد (٤٥٠-٥٠٥): " الأدب في الدين ".
٨٨- ابن القيم: مُحَمَّد بن أبي بكر (٦٩١-٧٥١): " الوابل الصيب ".
٨٩- ابن القيم: مُحَمَّد بن أبي بكر (٦٩١-٧٥١): " مدارج السالكين ".
٩٠- ابن القيم: مُحَمَّد بن أبي بكر (٦٩١-٧٥١): " الفوائد ".

٩١- ابن رجب الحنبلي (٧٣٦-٧٩٥): " جامع العلوم والحكم ".
٩٢- ابن رجب الحنبلي (٧٣٦-٧٩٥): " الحكم الجديرة بالإذاعة ".
٩٣- ابن رجب الحنبلي (٧٣٦-٧٩٥): " المحجة في سير الدلجة ".
٩٤- الأبشيهي: مُحَمَّد بن أبي أحمد أبي الفتح (٧٩٠-٨٥٠): " المستطرف في كل فن مستظرف ".
٩٥- الغزي: بدر الدين أبي البركات مُحَمَّد (٩٠٤-٩٨٤): " المراح في المزاح ".
٩٦- الهيثمي: أحمد بن حجر (٩٠٩-٩٧٤): " الزواجر في النهي عن إقتراق الكبائر " ط: المطبعة الأزهرية

ط- النقد والرد على الفرق والطوائف

٩٧- ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن (٥١٠-٥٩٧): " تلبيس إبليس " ط: بيروت.
٩٨- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم (٦٦١-٧٢٨): " منهاج السنة النبوية ".
٩٩- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم (٦٦١-٧٢٨): " إقتصاد الصراط المستقيم ".
١٠٠- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم (٦٦١-٧٢٨): " الرسالة القبرصية " ط: مكتبة المدني. بمصر.
١٠١- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم (٦٦١-٧٢٨): " الوصية الكبري ".
١٠٢- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم (٦٦١-٧٢٨): " النهي عن الغلو في الدين ". رسالة.

و– أديان وعقائد

١٠٣– لجنة الكتاب المقدس: " الإنجيل " كتاب الحياة " يشتمل على أناجيل متي ويوحنا ولوقا ومرقص ".

١٠٤– ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم (٦٦١–٧٢٨): " النبوات " ط: بيروت.

١٠٥– جاد الحق علي جاد الحق "شيخ الأزهر" (١٣٣٦–١٤١٧هـ): "بيان للناس " – الجزء الأول (حنفي)

ك – دراسات إسلامية معاصرة

١٠٦– العقاد: عباس محمود (١٣٠٦–١٣٨٣هـ):"حقائق الإسلام وأباطيل خصومه "

١٠٧– المدني: مُحَمَّد مُحَمَّد المدني (١٣٢٥–١٣٨٨هـ): " وسطية الإسلام " مترجمة إلى الإنجليزية.

١٠٨– الفاسي: علاَّل الفاسي (١٣٢٦–١٣٩٤هـ): " مقاصد الشريعة ومكارمها

١٠٩– الندوي: أبو الحسن (١٣٣٢–١٤٢٠هـ): "ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين

١١٠– السقا: مُحَمَّد الغزالي (١٣٣٥–١٤١٧هـ): " مائة سؤال عن الإسلام ".

١١١– الدكتورعبد الصبور مرزوق (١٩٢٤م–٢٠٠٨م): " مقولات ظالمة " ج٢ " سلسلة قضايا إسلامية" ط: مجمع البحوث الإسلامية.

١١٢–الدكتور محمود حمدي زقزوق (١٩٣٣م – معاصر): " الإسلام في مواجهة حملات التشكيك ".

١١٣– فاطمة بنت عبد الله (...– معاصرة): " الموضة في التصور الإسلامي " ط: سنة ١٤١١هـ.

١١٤– الدكتور سفر الحوالي(١٣٧٥ هـ=١٩٥٥م – معاصر): " العلمانية " رسالة ماجستير مطبوعة.

١١٥- الدكتور أحمد عمر هاشم (١٩٤١م- معاصر): " وسطية الإسلام " رسالة ط: دار الكتاب الصوفي.
١١٦- الدكتور عثمان جمعة ضميرية (...- معاصر): " الإسلام وعلاقته بالشرائع الأخري ".

ى- الدوريات والمجلات الإسلامية

١١٧- مجلة البيان العدد رقم (١٦٧) مقال الدكتور: عثمان جمعة ضميرية.
مقال منشور بالمجلة بعنوان " وسطية الإسلام والأمة المسلمة" (ص ١٨-١٩). عدد رجب سنة ١٤٢٢ هـ = أكتوبر ٢٠٠١م العدد (١٦٧) السنة (١٦).
١١٨- مجلة الأزهر المجلد (١٢).
١١٩- مجلة التوحيد المجلد (٢١) عدد "ذو الحجة " رقم (١٢).
١٢٠- مجلة الوعي الإسلامي المجلد "٤" العدد (٣٩) ربيع أول سنة ١٣٨٨هـ. مقال د: أحمد الحوفي بعنوان " نقد نظرية الوسطيَّة في الأخلاق ".
" وهناك مراجع أخري مثبتة في الحواشي "

" تمَّ بحمد الله تعالى "

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
• اهداء	٥
• مقدمة	٩
• الباب الاول: بيد يدي القارئ	١٣
• الفصل الأول : معنى الوسطيةِ	١٤
• المبحث الأول : معنى الوسطيَّة في اللغة العربيَّة	١٤
• المبحث الثاني : معنى الوسطيَّة في القرآن الكريم	١٧
• المبحث الثالث : معنى الوسطيَّة في السنة النبويَّة	٢٠
• الفصل الثاني : طريقة المشرع في التشريع	٢٤
• الفصل الثالث : مجئ التكاليف في حدود الاستطاعة	٢٩
• الباب الثاني : مظاهر الوسطيَّة في الإسلام	٤٣
• الفصل الأول : الوسطية في العقائد	٤٤
• الفصل الثاني : الوسطيَّة في العبادات	٥٠
• الفصل الثالث : الوسطية في إقامة الحدود الشرعية	٨٩
• الفصل الرابع : الوسطية في المعاملات	٩١
• الباب الثالث : الوسطية في مكارم الأخلاق	١٠٤
• الفصل الأول : انحراف أهل الكتاب عن منهج الوسطية	١٠٥
• الفصل الثاني : الوسطية في أدب الدنيا والدين	١٢٠
• الفصل الثالث : نقد نظرية الوسطية في الأخلاق مع المقارنة بالمنهج الأرسطي	١٢٨

- الباب الرابع : شبهات وردود ، رد شبهات حول موضوع الوسطية ١٥٠
- الخاتمة : منهج الوسطية في ترشيد الصحوة الإسلامية ١٥٩

- ثبت أهم المصادر والمراجع ١٦٣
- فهرس الموضوعات ١٧٤

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

- نشر كل إنتاج إبداعي ذي جودة عالية و أفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017